الجمهـورية الجزائـرية الديمقـراطية الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العـالي و البحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جـامعة محـمد خيضـر – بسكرة –
كـلية العلـوم الإنسانية و الاجتماعية ـقطب شتمة-
قسـم علـوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الموضـوع

الأوضاع الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي 1830 م

مذكـرة مكملة لنيل شهادة الماستر
تخـصص: تاريخ معاصر

إعداد الطـلبة:

- سعدون جهاد
- الأمير بوغدادة

الأستاذ المشرف:

الموسم الجامعي: 2013-2014

شكر و عرفان

الحمد لله رب بالعالمين الذي خلق الإنسان، علمه البيان و الصلاة و السلام على الهادي البشير، و السراب المنير، من حثّ الأمة على طلب العلم و جني ثماره لأنه الضياء و النور.

أمــا بعد :

شكراً منا و اعتراف لكل من ساهم في تشجيعنا لإنجاز هذا العمل سواءٌ من قريب أو من بعيد، و جزيل الشكر إلى أساتذة اللجنة المناقشة دون أو ننسى أساتذة كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بصفة عامة و أساتذة التاريخ بصفة خاصة، الذين مهدوا لنا طريق الفلاح و فتحوا لنا أبواب النجاح و وجهونا إلى ما فيه الصلاح، و شكر خاص للأستاذ المشرف الأمير بوغدادة الذي كان عوناً و مرشداً و خير سند و أشكره على الجهد الذي بذله من أجلنا.

إهــداء

عرفانا و تقديراً للعلم و إحياءاً للبحث و تخليداً للذكرى أُقدم ثمرة جهدي إلى الّذيْن قال الله فيهما: **(و بالوالدين إحسانا)** [سورة الإسراء]

إلى التي حملتني وهناً على وهناً و أعطتني زهرة شبابها، إلى أقربهم إلى قلبي: أمي الحبيبة.

إلى من أضاء مستقبلي أبـــي

إلى الذي لم يبخل علي بكل ما يملك و الذي إن بقيت أعد فضائله فلن أحصيها و الذي وقف إلى جانبي و شجعني من اجتياز هذه المرحلة برغم من الظروف التي واجهتها زوجي العزيز.

إلى من علموني أن الحياة كفاح و العلم سلاح و حفزوني على اجتياز الصعاب إخوتي

بهاء الدين، حسين، و فجر الإسلام.

إلى مثلي الأعلى في الحياة أختي أسماء

إلى الشمعة المضيئة و الزهرة المتفتحة ابنتي الغالية ملاك هبة الرحمن

إلى كل من ترعرعت بينهم:عائلة سعدون كبيرهم و صغيرهم و عائلة لوصيف أيضاً كبيرهم و صغيرهم و إلى عائلة بلوافي كبيرهم و صغيرهم

و إلى أبناء خالاتي و أبناء عماتي و إلى كل من يعرفني من قريب أو من بعيد و إلى زملائي و زميلاتي في الدراسة من الطور الابتدائي إلى الجامعة

و إلى الزميل الراحل لطرش رشاد أدعوا من الله العلي القدير أن يتغمده برحمته الواسعة **(إنّ لله و إنا إليه راجعون)**

قائمة الرموز

و المختصرات

الرمـوز	المختصـرات
ط	الطبعة
د–س–ن	دون سنة النشر
ج	جزء
مج	مجلد
ص	الصفحة
Op.cit	المرجع السابق
ع	العدد
د.ط	دون طبعة

مقدمــة

إن دراسة تاريخ الجزائر المعاصر هي محاولة تكوين فكرة صحيحة عنه تتطلب منا رسم صورة واضحة عن مختلف مجالات الحياة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية، غير أن تاريخ الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي لا يزال يكتنفه الغموض من عدة جوانب ذلك لأن معظم الدارسين ركزوا على الجانب السياسي فيما ظلت الجوانب الأخرى بحاجة إلى مزيد من الدراسة و البحث .

و إدراكاً منّا بأهمية هذه الجوانب في فهم تاريخ الجزائر في هذه الفترة ارتأيت تناول جانباً مهماً في تاريخ الجزائر و هو الجانب الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي في بحث تحت عنوان:

«الوضع الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي 1830»

دوافع اختيار الموضوع:

و يعود سبب اخترنا لهذا الموضوع إلى أسباب ذاتية تتمثل في معرفة تاريخ الجزائر المعاصر بصفة عامة و مرحلة دخول فرنسا إلى الجزائر في الوهلة الأولى من تواجدها بصفة خاصة لما تكنه من أهمية، أمّا الأسباب الموضوعية فتتمثل في إدراكنا لأهمية الدراسات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية في صورة أكثر وضوحاً في تاريخ الجزائر بالإضافة إلى قلة الدراسات الجزائرية الأكاديمية مع وجود دراسات غربية و فرنسية خاصة حول هذا الموضوع حيث يغلب عليها طابع التحيز و قلة الموضوعية .

إن هدفي من هذا البحث هو الإسهام بجهدٍ متواضع في هذا المجال الذي يتعلق بفترة حساسة من تاريخ الجزائر المعاصر، و إبراز بعض الجوانب التي ظلت خفية فيما يتعلق بالوضع الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي في الجزائر، و محاولة إبراز مدى تأثير الأتراك في المجتمع الجزائري خاصة في هذه و قد عالجنا هذا البحث انطلاقاً من الإشكالية التالية:

إشكالية الموضوع:

كيف كان واقع الأوضاع الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م ؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

- كيف كانت التركيبة الاجتماعية في المجتمع الجزائري؟

مقدمــة

- ما مدى تأثير الوضع الثقافي على الوضع الاجتماعي؟ و ما هي أبرز المؤسسات الثقافية العلمية في الجزائر؟
- و هل كان للوضع الاقتصادي دور مهماً في الحياة الاجتماعية و الثقافية؟

المنهج المتبع:

و اعتمدت في تناولي لهذا الموضوع على المنهج الوصفي لوصف الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر في هذه الفترة و المنهج التحليلي الذي يعتبر أكثر ملاءمةً لتحليل القضايا التاريخية.

و قد عالجنا هذا الموضوع وفقاً للخطة التالية حيث تناولت فيها ثلاثة فصول هم:

الفصل الأول: الخاص بالوضع الاجتماعي، حيث تطرقنا فيه إلى أربع مباحث هي:

- **عناصر تكوين المجتمع:** الذي يتكون من مطلبين حيث قسمت فيهما سكان المدن و سكان الريف.
- **العادات و التقاليد:** حيث يتكون من مطلبين يتحدثان عن اللغة، اللباس، تأثيث، الغذاء، الزواج و الأعياد.
- **الحالة الصحية:** تحدثت عن الأوبئة و المجاعة و الكوارث الطبيعية.
- **العمران:** تحدثت عن المساكن و المساجد و المقاهي و الحمامات و القصور.

أّما الفصل الثاني: الخاص بالوضع الثقافي و الديني، حيث يتضمن أربع مباحث:

- **المؤسسات الثقافية** حيث تحدثت عن المساجد و الزوايا و المدارس و الكتاتيب و المكاتب.
- **الجوانب الثقافية** تحدثت عن العناية بالوقف و تشجيع على حركة النسخ و تأليف.
- **الجوانب الدينية** تحدثت عن العلوم الشرعية و الآثار الفقهية على ثقافة المجتمع الحياة الفكرية و الأدبية تحدث عن الفنون و الآداب و الفكر و العلوم .

أّما الفصل الثالث الخاص بالوضع الاقتصادي، حيث يتضمن أربع مباحث :

- **القطاع الفلاحي** حيث تحدثت فيه على القطاع التقليدي في الزراعة و شركات الأقلية.
- **القطاع الصناعي** تحدثت فيه على الاقتصاد الخاص و الاقتصاد الرسمي.
- **قطاع تجاري** تحدثت فيه على التجارة الداخلية و الخارجية.

- **الحياة الاقتصادية في عهد الأمير عبد القادر** حيث تحدثت فيه عن دوره و أهم الأسواق و المواصلات.

و ختمنا هذا البحث بخاتمة هي عبارة عن تقييم للفصول الثلاثة و التي حوصلناها في شكل استنتاجات لما قمنا بمعالجته في هذا الموضوع.

و اعتمدنا على مجموعة من المصادر منها:

- المرآة لحمدان خوجة، و هو مصدر لا غنى عنه في دراسة الأوضاع الاجتماعية بالجزائر، بالإضافة إلى مجموعة من المراجع أبرزها.
- من تاريخ الجزائر الحديث إلى بداية الاحتلال لأبو القاسم سعد الله.
- الجزائر في مرآة التاريخ لشريط عبد الله و محمد الميلي .
- الجزائر بوابة التاريخ "ما قبل التاريخ إلى 1962م" ج1، ج2، لعامر عمورة، و غيرها من المراجع العربية و الغربية.

و كذلك اعتمدت في دراستي هذه على بعض المجالات العربية منها:

- مجلة سيرتا و مجلة الثقافة، مجلة الأصالة، و غيرها.

الصعوبات:

إن كان لابد من الحديث عن الصعوبات التي واجهتني، فهي ضيق الوقت، صعوبة في إيجاد الشخص الملائم لكتابة المذكرة على الحاسوب الآلي إلا بعد مدة طويلة من البحث بالإضافة إلى تصادم الأفكار بين الباحثين خاصة في هذه الفترة التي قمت بدراستها.

قبل دراسة التركيبة الاجتماعية لسكان المدن والأرياف في الجزائر علينا اللجوء أولا إلى إحصاء عدد السكان حيث بلغ أواخر العهد العثماني ما بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف وفي سنة 1830 كانت أغلب الإحصائيات تقدر سكان الدن الجزائرية كما يلي:

- مدينة الجزائر 30.000 نسمة.
- قسنطينة25.000 نسمة.
- وهران 9.000 نسمة [1] .

وكان معظم سكانها من الحضر الأصلين والاندلسين الأتراك والكراغلة، وبعض اليهود والأسرى المسيحيين الذين تم تحريرهم سنة1816.

واشتغل أكثرهم بالحرف والتجارة، بينما عاش 95 بالمائة منهم في الأرياف معتمدين على زراعة ورعى بسيطة[2].

1 – ناصر الدين سعيدوني ، **النظام المالي للجزائر في آواخر العهد العثماني (1792–1830)** ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ط1 ، 1985 ، ص .41

2 – بشير بلاح ، **تاريخ الجزائر المعاصر (1830م–1989م)**، دار المعرفة ،(د–س–ن)، ص–ص. 29–30.

المبحث الأول: عناصر تكوين المجتمع

لكل مجتمع خصائص ومميزات وعرقيات تمثله ، وأهم المجموعات السكانية والعرقية التي تمثل الإيالة الجزائرية تمثلت في سكان المدن وسكان الأرياف .

المطلب الأول : سكان المدن

وتتمثل في الأقلية التركية وجماعة الكراغلة وجماعة الحضر والمجموعات البرانية والحالية اليهودية والدخلاء.

أولاً- الأقلية التركية: كان الأتراك يشكلون طائفة مغلقة منعزلة عن المجتمع ،متمسكة بلغتها التركية وبمذهبها الحنفي ،تخضع لنظام قضائي خاص،ولها امتيازات خاصة [1].

وقد تمركزوا في الحصون والثكنات مثل حصن القصبة،وثكنة الخراطين وثكنة اللمباجية، وتمركزوا كذلك في الحاميات والسفارات الموجودة بكل من قسنطينة وهران، عنابة، وقد كان عددهم لا يزيد عن 12 ألف نسمة في الربع الأول من القرن 19 وترجع قلة العنصر التركي إلى حالة العزوبة التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش فضلا عن تعرض الكثير منهم إلى الأمراض والأوبئة، ونظرا لقلة عدد الطائفة إلا أنها لم تخل بالتركيب الآفنوغرافي وأن تأثيرهم لم يتعدى الأنظمة الإدارية ،ولم يتجاوز الرتب العسكرية [2].

ثانياً- جماعة الكراغلة: الكراغلة(*) هم أبناء الأتراك من الأمهات الجزائريات ،ويشكل هؤلاء الكراغلة طائفة فوق الطوائف الأخرى ولكن تحت طائفة الأتراك، وجود هذه الطائفة يعبر بوضوح عن إرادة الأتراك في الحفاظ على نقاوة طائفتهم وعن إرادتهم في تجنب الاختلاط بأهالي البلاد،فمن الناحية العددية كانت طائفة الكراغلة أكثر من طائفة الأتراك كما أنها أكثر

---

1 - صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي (1514م- 1830م)**، دار هومة للنشر و التوزيع، ط2،2007م، ص-ص.356-357.

2- ناصر الدين سعيدوني ، **المهدي بوعبدلي ، الجزائر في تاريخ العهد العثماني (1734م-1830م)** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،(د-س-ن)، ص-ص.92-94.

(*) **الكورغولي** : معناه الحرفي بن العبد أو بن الخادم ، وهو من كان أبوه تركيا وأمه جزائرية .

انتشارا،وتوجد عناصرها في كل المدن التي كان بها الأتراك وخاصة إنكشارية الحاميات ، كما يوجد الكراغلة في قسنطينة وتلمسان وغيرها.

كان الكراغلة يشكلون طائفة متميزة في هذه المدن ،فكانوا يشكلون في تبسه مثلا العنصر المهيمن من حيث العدد ومن حيث النفوذ،فهم الذين يملكون كل أراضي الملك المحيطة بالمدينة، على الرغم من أن الحامية التركية لم يتم إنشائها في تبسه إلا في أواسط القرن 18 وكانوا يقطنون أجمل وأحسن ما في هذه المدينة.

ولا يقتصر وجود الكراغلة على المدن ،كما هو الحال بالنسبة للأتراك، بل كانوا متواجدين في الأرياف كذلك، ويعود أصل كراغلة الأرياف إلى أولئك الذين طردوا من مدينة الجزائر أثناء تمردهم على السلطة التركية في سنة 1629م.

وعلى الرغم من حركات التمرد هذه إلا أنهم احتفظوا ببعض الامتيازات مثل حق الانخراط في الانكشارية وأهليتهم لتولي بعض المسؤوليات الهامة نسبيا [1].

ثالثاً- جماعة الحضر: تتشكل من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن، والتي تعود إلى الفترة الإسلامية ومن ضم إليها من الأندلس والأشراف، وقد اشتغلوا بالتجارة والاستثمارات، وهذا ما جعلهم يألفون البرجوازية بالمدن الصغيرة[2]، وبمجيء الأتراك أصبح عددهم يفوق 25000 نسمة وكانت الهجرة الأندلسية عامل ازدهار اقتصادي وتطور عمراني رغم أن أغلب الأندلسيين كانوا يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة، إلا أن تأثيرهم كان يمس مختلف أوجه الحياة وكانوا يتميزون بدقة الذوق والملبس[3] وكانوا ينقسمون إلى صنفين:

المدجنون: وهم الذين خرجوا من غرناطة والأندلس.

الثغريون: جاءوا من ممالك أرغونه وبلنسية [4].

---

1 – صالح عباد ، **المرجع السابق** ، ص-ص.357-358.

2 – عبد الله شريط ، محمد الملي ، **الجزائر في مرآة التاريخ** ، طبع ونشر مكتبة البعث ، قسنطينة ،ط1، 1925، ص. 147.

3 - Lucette valensi , **le Maghreb avant la prise d'Alger (1790-1830)** , flammarion , France , 1962 , pp , 20-40

4 – صالح عباد ، **المرجع السابق** ، ص. 359.

أما جماعة الأشراف القليلة العدد والتي تنسب إلى آل البيت، اشتهرت بالورع والتقوى وهذا ما أكسبهم احتراما وتقديرا، لدى الحكام [1].

رابعاً- المجموعات البرانية: هم السكان الأصليون هاجروا من مدنهم الصغيرة وقراهم إلى المدن الكبرى كمدينة الجزائر للعمل بها[2] ومنهم:

أ. **البسكريون:** يعملون في الحمامات العمومية.

ب. **الاغواطيون:** يشتغلون بنقل الأوساخ.

ت. **بنو ميزاب:** يحتكرون قسما هاما من النشاطات التجارية، وهم أغنى المجموعات .

ث. **القبائليون:** كانوا يسيطرون على أشغال البناء،وقد اكتسبوا مهارة المهنة في مناطقهم الجبلية التي كان سكانها يعتمدون على بيوت الحجارة بنسبة عالية [3].

خامساً- الجالية اليهودية: هم قلة منهم من يرجع أصوله إلى ما قبل الفترة الإسلامية ومنهم من فر مع المسلمين من الأندلس جراء اضطهاد النصارى، وقد قدر الأب" دان"عددهم في مدينة الجزائر عام 1634 ب10آلاف يهودي ،ثم قدرهم "لوجيه دي تاسي" عام 1725 ب 15ألف من مجموع كل يهود الجزائر البالغ عددهم 30ألف نسمة ، وعدا دياناتهم ودفع الجزية واتخاذ زي خاص بهم وامتناعهم المشاركة في الحروب ،فإنهم كانوا مندمجين كلية في المجتمع الجزائري يقلدون الأهالي في تقاليدهم وعاداتهم ويتكلمون اللغة العربية ،كما كان لهم شأن كبير في الحياة العامة استمر 25 سنة (1780 -1805) وبالأخص يهود الفرنجة الذين كانوا من أصل إيطالي مثل سليمان حاكت وبكري وبوشناق فاغتنوا من تجارتهم مع أوربا وكان لأكثرهم نفوذا كبيرا في الشؤون الجزائرية [4].

---

1 - أحمد توفيق المدني ، "**هذه الجزائر" (1766-1791)** ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د-س-ن)، ص-ص.76-77.

2 - عمار عمورة ، **الجزائر بوابة التاريخ(ما قبل التاريخ 1962)** ،دار المعرفة، الجزائر ،2006، ص.241.

3 - شارل اندري جولين، **تاريخ الجزائر المعاصر** ،دار التونسية للطبع، 1964، ج1، ص.50.

4 - احمد الشريف الزهار، **ذخائر المغرب العربي**، تحقيق احمد توفيق المدني،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ،ط2، 1998، ص.30.

وكان اليهود من الممارسين للسمسرة والربا، وكانوا يتوسطون في كل العمليات التجارية مهما كانت كبيرة أو صغيرة أو تافهة ،كما مكن المال كبارهم من التأثير على الحياة السياسية وخاصة في المراحل الأخيرة من العهد التركي [1].

سادساً- الدخلاء: هم جماعات الأسرى المسيحيين المستخدمين في الحانات أو السجون أو مسخر للخدمة في قصر الّداى أو رعاية بعض البساتين، وقد بدأت أهمية الأسرى تتناقص في بداية القرن 19م،وكاد عددهم يتلاشى بعد هجوم" اللورد اكسموث" سنة 1816م،ولهذا أصبحت طائفة الدخلاء تتكون غالبيتها من الجالية اليهودية سواء من كان منها مستقرا بالبلاد منذ القدم أو من أتى إليها من اسبانيا في أوائل القرن 17م ،وهذه الطائفة الأخيرة من اليهود الأندلسيين تنتمي إليها أغلب العائلات اليهودية [2].

المطلب الثاني : سكان الأرياف

يشكلون الأغلبية الساحقة بنسبة 90 بالمائة يسكنون الأرياف وهم كلهم جزائريون منهم الأجواد والمرابطون وقبائل المخزن وقبائل الرعية [3].

أولاً- الأجواد: هم الذين فرضوا نفوذهم أو حتى سلطتهم بالقوة في منطقة من المناطق ،تتسع أو تضيق حسب وضعية السلطة المركزية التركية، ولم يكن أمام الأتراك إلا الاعتراف بنفوذ هؤلاء الاجواد [*] وفي الكثير من الأحيان يعلنون عليهم الحرب أو يؤججون الصراعات داخل عائلاتهم فيناصرون صفا ضد آخر ،اضطرت السلطة التركية للتعاون مع هؤلاء في الكثير من المناطق كما هو الشأن مع الدواودة والأحرار وغيرهم في شرق الإيالة خاصة.

---

1 – صالح عباد ، **المرجع السابق** ، ص.360.

2 – ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق** ، ص.46.

3 – أبو القاسم سعد الله، **أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر**، دار المغرب الإسلامي ، بيروت، ط2، 1996، ج4، ص.22.

(*) **الأجواد** : هم النبلاء .

ولقد كان هؤلاء القادة الأجواد أسيادا في مناطق نفوذهم يحيون الضرائب ويفرضون أعمال السخرة ويجمعون الغنائم دون تدخل مباشر من السلطة المركزية [1].

ثانياً- المرابطون: انتشرت ظاهرة المرابطين منذ بداية القرن 15م وتواصلت في العهد التركي بقوة،حيث أورد "لويس رين" إحصائيات رسمية تعود إلى سنة 1880م ،تذكر أن عدد العائلات المرابطة بلغت حوالي 115 عائلة [2].

وزادت الطرق عددا في العهد التركي فبعد القادرية والشاذلية ظهرت الشيبحية و التيجانية و الرحمانية و الراشدية وغيرها كثير.

وتكمن قوة هؤلاء المرابطين ورجال الطرق في استعمالهم الدين حيث كانوا يخطون مكانة عند الجميع.

وكان المرابطون ورجال الطرق ينتقلون في طول البلاد وعرضها دون خوف من هجوم اللصوص وقطّاع الطرق عليهم.

وقد كانت السلطة التركية نفسها تستعين بالمرابطين في نقل الأموال عبر الطرقات غير الآمنة ، ففي أوائل القرن 19م كان المقراني مرابط جيجل مثلا ،مكلفا بنقل أجرة الجنود من قسنطينة إلى مدينته [3].

ثالثاً- قبائل المخزن: هي مجموعات سكانية لها صبغة فلاحيه وعسكرية وإدارية[4] ولم تكن جماعات المخزن تشكل كلها قبائل بمعنى الكلمة، فإذا كانت هاشم في الغرب والحراكتة في الشرق، وعمراوة في بلاد القبائل، وهي قبائل قائمة على علاقات الدم أو القرابة، على سبيل المثال فإن المخزن العبيد في التيطري أو بلاد القبائل يتكون من أشخاص كانوا عبيدا لا قرابة بينهم، تشكلوا في جماعات سكانية ،أصبحت مع الزمن قبائل، نفس الشيء نجده مع زمالة

---

1 – عبد الجليل التميمي، **بحوث و وثائق في التاريخ المغربي(1816م-1871م)**، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس1972م، ص.30.

2 – رابح لونيسي،**تاريخ الجزائر المعاصر (1930م-1989م)**، دار النشر و التوزيع، الجزائر، 1989م، ص-ص.16-17.

3 – صالح العقاد،**المغرب في بداية العصور الحديثة** ،معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية،1962، ص.57.

4 – ناصر الدين سعيدوني ،**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص.97.

العثمانيين في نواحي سطيف ومخزن وادي الزيتون في يسر، فعناصرها من الكراغلة هنا من جهة ومن جهة أخرى تختلف قبائل المخزن من حيث حيازة الأرض فمنها ما كانت على أرضها فأقرها الأتراك عليها، كما هو الشأن بالنسبة للحراكتة مثلا ومنها ما أقامها الأتراك على أراضي البيلك، كما هو الشأن بالنسبة للدوابر الذين أقامتهم السلطة التركية على أراضي أولاد خديم للمصادرة.

وقد أخذ نفوذ قبائل المخزن(*) يزداد في أواخر العهد التركي ،مع تراجع قوة السلطة المركزية، فتجاوزت صلاحياتها، وتملكت مساحات شاسعة من أراضي البايليك، حين احتل الفرنسيون مدينة الجزائر كانت هذه القبائل أكثر من غيرها تماسكا وقوة، حفاظا على امتيازاتها وإمكانياتها.

رابعاً- قبائل الرعية: هي القبائل التي لم تحظى بأي امتياز من السلطة التركية،وهي التي كانت تدفع الضريبة والرسوم المختلفة ،كما كانت تفرض عليها أعمال السخرة وكانت وضعيتها أسوأ من وضعية تلك القبائل التي لم تخضع للسلطة المركزية لأنها تقطن مناطق وعرة تصعب على القوات التركية أن تتواجد فيها بصفة دائمة [1].

كما نجد بعض الوثائق التي تقدم لنا نسبة عدد السكان في سنة 1830م 247 نسمة من أصل تركي و 504 نسمة من أصل كرغولي و 550 نسمة من أصل عربي و 50 يهوديا, و كذلك اجبر عدد كبير وهائل من الأتراك و الكراغلة الهجرة إلي تونس بعد أن فقدوا كل شيء.

- و في سنة 1838م دفع الجنرال دي ميشال إلي طرد الحظر بسبب معارضته لاحتلال المدينة, كما غدر حوالي 1000 نسمة

(*) **قبائل المخزن** : هي قبائل إدارية موالية للسلطة ، ذات صبغة فلاحية عسكرية تنوعت أسماؤها بتنوع الأقاليم التي تستوطنها ، فهي مخازنية أو زمول (ج : زمالة).

1 - عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من بداية و لغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص.54.

- كما تؤكد الوثائق العسكرية بان سكان مدينة مستغانم احتضنت مجموعة من الجالية التركية و الكراغلة و العائلات الحضرية التي لم تغادر المدينة[1].

المبحث الثاني: العادات والتقاليد.

المطلب الأول: اللغة ،اللباس، المسكن، الغذاء.

أولاً- اللغة: تأثر المجتمع الجزائري بكل من المؤثرات العثمانية والتركية الأناطولية، وذلك في العديد من الأساليب ،فقد كانت اللغة الرسمية التركية العصمانلية[1] وهي اللغة

1 - محمد غانم ، **مدينة في أزمة (مستغانم في مواجهة الاحتلال الفرنسي 1830م-1833م)**, إنسانيات، الجزائر، 1998م، ص.65.

الرسمية في الديوان وفي كل الاتصالات الحكومية وقد كتبت بالخط العربي وهي شديدة الصعوبة للترجمة، وقد جلب توارد الموظفين للأوجاق من الأناضول شكلا آخر من التركية أكثر صلابة إلى شمال إفريقيا، وبسبب انشغال الجزائر بالعمل العسكري البحري، فقد تمركزت هناك 72 كلمة عسكرية في طبيعتها بين 634 كلمة تركية الأصل مستعملة اليوم، وبقيت اللغة العربية(*) شائعة الاستعمال لأنها كانت اللغة التي تجمع العرب داخل الحضر الذين سبق سكانهم الفتح التركي والمهاجرين الإسبان والتجار الأوربيين إلى وجود لغة عملligua franca تدعى فرنكو franco أو سبير sabir وهي خليط من العربية والاسبانية والتركية والإيطالية (2).

ثانياً- اللباس: وفي خصوص اللباس والتجهيز المنزلي والتقاليد البينية والموسيقى وبقية الأنواع المماثلة، فقادها الجزائريون فيها مجتمع القسطنطينية العثماني فبالرغم من بعدهم الشديد وتباعدهم الثقافي من العاصمة العثمانية فيبدو أنهم قد نظروا لأنفسهم كمركز ثقافي عثماني في المغرب (3)وأن اللباس التقليدي لرجل شمال إفريقيا هو ثوب فضفاض عريض متصلة جوانبه بأكمام وقلنسوة أحيانا تدعى جلابة في المغرب الأقصى وتدعى في تونس جبة وبرنوس(*) في الجزائر، ويضاف إليه ألبسة تحتية مهذبة، ويلبس الرجال الأغنياء سروالا مطرزا عريضا وفضفاضا ويتخذ من الموسيلين(**) أو النسيج القطني الأبيض ويضاف إلى هذا إما شاش أو شاشية حمراء ،وتلتئم خياطة السراويل بواسطة تطريز حريري واسع يلتصق به لابسة مسدسه أو

---

1 – ويليام سبنسر، **الجزائر في عهد رياس البحر** ، ت : عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1980، ص.85.

(*) اعتبر الفرنسيون في أوائل الاحتلال أن معرفة اللغة العربية أساسية لهم لكي يحكموا سيطرتهم على الجزائر ، ورغم وقوع خلاف نظري حول ما إذا كان على الجزائريين أن يعرفوا الفرنسية، أو على الفرنسيين أن يعرفوا العربية .

2 – أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان(1815-1830)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ص.12.

3 – ناصر الدين سعيدوني، "**المرأة التركية الوارثة للتقاليد الوطنية و الإسلامية**"، **مجلة الأصالة** ،ع46-47 ، الجزائر، (د-س-ن)، ص.34.

(*) **برنوس** : نوع من المعاطف ذات قبعة.

(**) **الموسولين** : نوع من القماش أملس يشبه الحرير.

سيفه أو خنجره وعند نهايته يخبئ حاملة نقوده من الحرير ، والساعة من صنع البندقية، وعرف هذا اللباس عند الرجل الجزائري خصوصا.

أما الأريحيات babouche بالأقدام المنحرفة نحو الأعلى أما فيما يخص التغيرات في البنية العسكرية العثمانية فقد أخل سليم الثالث وجاء بعده محمد الثاني، وفي القرن 18م ظهر شيء من العصرية في لباس الاوجاق فحل الطربوش والسراويل التي تلبس فوق أحذية ملساء عالية ،أما لباس اليهود فهو أسود عبارة عن معطف ذا أكمام عريضة وخناجر كبيرة توضع على الجانب الأيسر وأحذية ملونة [1].

وقد لبس الجزائريون من غير الأتراك باستثناء اليهود لباسا بسيطا عبارة عن قميص من الكتان وسراويل في طول الركبة وفي الشتاء يلبسون الغليلة وهي لباس طويل حتى الركبة تأتي بعدها جبة طويلة من القماش الرفيع ويكمل هذه المجموعة البرنس [2]. وقد شغلت المرأة دورا ثانويا في المجتمع .

الجزائري، فكانت المرأة الفلاحة في البادية تظهر استنادا إلى ما قاله Chow: "في حايك تلبس تحته قميصا وسروالا وتغطي رأسها بقطعة قماش قد تخللتها خيوط ذهبية وفضية، وتلبس معها قطعة مثلثة من القماش وقد زركشت ولونت".

أما نساء المدن اتبعن أناقة أكثر دقة وكان نساء الأتراك المتزوجات يلبسن الفارملة بشكل شاسع وهي اللباس ذو الحزام المفتوح عند الصدر، مع معطف أو أكثر بأكمام قصيرة مع ألبسة داخلية تتدلى على سراويل مطلوقة، عندما يكن في المنزل وعندما يخرجن للحياة العامة فإنهن يضعن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات طوله يصل إلى الركبة ،ويتحزمن بشاش مزركش عريض ثم تأتي سراويل عريضة، وفوق الكل يأتي الحايك الأبيض ويتحجبن حتى عيونهن

1 – كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة البعلكبلي ، أمين فارس،دار العلم للملايين،بيروت،ط1942،1، ص.412.

2 – عزيز ألترسامح، **أتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة، بيروت، ط1، 1989، ص.255.

بقطعة قماش شفافة بيضاء[1] وقد كانت النساء الجزائريات شديدات الرغبة في الروائح والاطرزة المزركشة[2].

وكانت السيدات يذهبن إلى الحمام مرة واحدة في الأسبوع،ويمثل هذا الحدث ليس فقط للتنظيف تقليديا ولكن نوعا من إظهار الأزياء إلى جانب تبادل الأخبار العائلية فربما لبست بورجوازيات الجزائر أشرطة ثقيلة الوزن من الذهب حول الوسط العنق وتتدلى أذانهن أقرطه على شكل هلال ،أما الحجاب فكان قليل الاستعمال في معظم جهات شمال إفريقيا في السنوات الأولى لقيام الايالة ثم أصبح لباسا خارجيا ضروريا في سنة 1780م وهناك نوعين الصغير بنصف الوجه (القناع) ثم هناك قطعة اللباس المزركشة التي تتم خياطتها ملتصقة بالحايك وقد وصف باراداي paradais المتحجبات الجزائريات في مظهرهن الخارجي كمجمع من الآلهة الإغريقيات [3].

وقد كانت النساء الجزائريات يمارسن التطريز والأشكال الأخرى من عمل الإبرة،وقد اختصصن في القطع الخاصة بالنوافذ والألبسة والمحارم اليدوية والقفطان وألبسة الرجال ، وقد تأثرت الأشكال بالأناضول والشرق وكان الرمز المعتاد هو التفاح البنادوري pomegranute و القرنون articho وكلاهما من تقاليد تركية وكانت الألوان الشائعة الأحمر والأزرق الباهت[4].

كان الشعر هو ظاهرة الجمال الأساسية، يقدر جماله أكثر كلما يطول حتى القدمين [5].

ثالثاً– التأثيث: يعد التأثيث من بين الأشياء المعتادة لدى كل منزل، فالتأثيث بالنسبة للفقراء يكون بطريقة بسيطة وساذجة مثل حصير وخزانة صغيرة من الخشب.

---

1 – وليام سبنسر، **المرجع السابق** ، ص.120.

2 – عمار عمورة ، **المرجع السابق**، ص.222.

3 – أبو العيد دودو، **المرجع السابق**، ص.123.

4 – ناصر الدين سعيدوني،**الدراسات و الأبحاث في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص.98.

5 – أبو العيد دودو،**المرجع السابق**، ص.130.

أما الأغنياء فيملكون زربية وبساط للتزيين ولكن بالنسبة للفلاحين فقد كان من أجل الغطاء أيضا والراحة لكل العائلة ،كما لم يملك الفقراء أواني لتحضير وجباتهم عدا قصعة من الخشب لأكل الكسكسى .

أما في المنازل الكبيرة نجد جرة أو إناء من الطين و خوابي مخصصة لتخزين الأغذية مثل الحبوب والزيت والجبن وغيرها توضع في وسط الغرفة الرئيسية أو معلقة على الجدار ونجد كذلك طبق من الطين موضوع في زاوية الغرفة مما يعرف بالرحى التي تستعمل في طحن الحبوب ،كما يوجد أيضا معصرة للزيت ،خزانة ،مقاعد،صناديق الأمتعة كراسي المطبخ خشبية وخزف في مختلف الأشكال ذات ألوان أرجوانية [1].

رابعاً- الغذاء: ارتبط النظام الغذائي في الجزائر بعوامل مختلفة على رأسها الوضعية الاقتصادية للسكان ،حيث كان سكان الأرياف يتمتعون بالقناعة والبساطة، وغذائهم كان غير متنوع إلا في الاعتماد والأغذية كانت بسيطة عبارة عن حليب فواكه (تين، زيتون، تمور، زيت، كسكسى، خبز"كسرة"، وماء) وهو المشروب الوحيد بالنسبة للقبائل الفقيرة المتمركزة في الحوض المتوسط من الأطلس المتيجي يستهلكون البلوط والخروب،حيث يقومون بتهريسه برحى الفرينة لجعله كسرة أو كسكسي.

وكان اللحم يحتل مكان الشرف في كل الوجبات ولا يستهلك إلا مرة واحدة في الأسبوع من طرف عائلات الفلاحين الميسورين، أما الفقراء فلا يتناولونه إلا في مناسبات أو أحداث هامة أو في حالة قسمة شاة مضحاة بعد حادث أو موت في جماعة [2] بالإضافة إلى استهلاك الحليب الذي من المفترض أنه كان غير متاح لكل السكان باعتبار فترات الجفاف التي سادت في القرن 19 م والتي أثرت على الثروة الحيوانية التي كان يملكها السكان ، وبالتالي على مردودها من إنتاج الحليب خاصة بالنسبة إلى الأبقار [3] .

1 - Nacereddinesaidouni **,l'algérois Rural(A la fin du l'époque ottomane 1791-1830)** , Dar Al-gharbIslami , lebanon , 2001 ,P289.

2 - كارل بروكلمان، **المرجع السابق**، ص.122.

3 - حمدان خوجة، **المرآة** ، ت: العربي زبيري ، الجزائر ،(د-س-ن)، ص.62.

أما الأثرياء من العائلات الغنية وسكان يستهلكون أطباق شهية مستخرجة من عادات المطبخ المدني (تركي وأندلسي)، وكانوا يقومون بتخزين المربى، العسل، والعنب المجفف في الشمس للشتاء. كما كانوا يحضرون مشروب رائع من الفواكه (العناب) المخمر في 3 أرباع من الماء ويحفظ للفصل المقبل.

وكان استهلاك القهوة مقتصرا إلا على ميسوري الحال ويقومون بتحضيرها خفيفة جدا، والفطور كان سريعا مشكلا من الحليب والكسرة وفي فصل العمل في الحقول تحضر لقمة من العصيدة والروينة أما الغداء يتكون عادة من حساء "rassaoua " مزود بقليل من الزيت ، الخبز والحليب وقليل من الفواكه وأخيرا العشاء أو وجبة المساء متكونة من الكسكس(*) [1] .

المطلب الثاني: الزواج والأعياد.

أولاً- الزواج: وكما كان الواقع في نواحي أخرى في العالم الإسلامي فإن الزواج في الجزائر كان له نظامه الخاص، فهناك تجمع عناصر الترفيه والسياسة وخاصة لما يتعلق الأمر بالعائلات الغنية، وهناك السلوك الاجتماعي الخاص وهناك العرف والتقاليد وحتى الاقتصاديات وكذلك استمرار الارتباط العرفي الذي تقرره المجموعة العصبية أو القبلية .

وهناك ظاهرة كانت شائعة في خصوص العرف الزواجي في مدينة الجزائر تتمثل في التوسط، ويتم عن طريق امرأة مسنة صديقة لعائلتي زوجة وزوج المستقبل، ونظرا للسرية العامة المتعلقة بالأنثى فإن الوسيطات يقمن بعمل ذي قيمة. وربما يذهبن من بيت إلى بيت في مهمات للعائلات اللائي لهن أولاد في سن الزواج ويعلمن عن تواجد الفتيات القابلات للزواج[2].

(*) **الكسكسي** :غذاء ممتاز كان يحضر غالبا من فرينة القمح أو الشعير ، والحبيبات المتحصل عليها ، توضع بعد ذلك في كسكاس لتفور ويطبخ باللحم والخضر في مرق (sauce).

1 – حمدان خوجة، **المرجع السابق**، ص.67.

2 - Devoulx , Albert, les édifices religion de l’ancien alger,alger,1870 ,p.201

وكثيرا ما ترغم الفتيات على الزواج في وقت مبكرا[1].

وكانت حفلات الزواج الجزائرية تختلف حسب الظروف المالية للعائلات وحسب المجموعة الإجتماعية المعينة، وربما كان هو متوقع حسب التنوع المدني والريفي[2].

وعندما تقع أفراح أو أعياد عائلية، فإن هؤلاء السكان يستلفون من بعضهم حليا وجواهر ثمينة ويفوق سعرها في بعض الأحيان 10 أو15 ألف فرنك، وكل شيء في هذه الظروف يرتكز على الثقة ولا يشترط أي دليل لإثبات الدائنية[3].

ثانياً- الأعياد: هناك عدد آخر من التفرغات والنشاطات الاجتماعية تعكس أهمية النفوذ التركي على الحياة الجزائرية ،فقد كانت الأعياد الجزائرية تدعى بيرماتbayrams من الكلمة التركية الخاصة بالعطل الدينية ، وقد كان أكبر الأعياد هو قربان بيراميkurbanbayrami أو كيوكبيرامي küyükbayrami (ومعناه عيد المسلم الكبير للتضحية) وهو عيد الأضحية المبارك[4] وفيه كانوا يستمتعون بمشاهدة الألعاب البهلوانية وهذه الألعاب عبارة عن نوع من المصارعة بين الرجال تبرز فيها القوة وخفة الحركة .[5]

والأعياد الأخرى كانت تسمى سكر بيرام sekerbyram أي عيد السكر وقد سمي هكذا بسبب تبادل الهدايا فيه والقطع الصغيرة من الحلويات المصنوعة بالسكر،وذلك بمناسبة نهاية رمضان،وهناك عيد المولد الشريف Mevlid-i-Serif وهو ميلاد الرسول **ص**[6]

أما فيما يخص حفلات الختان والولادة، فكما يذكر فاغنر أن هذا النوع من الحفلات يشبه الحفلات الأخرى تماما، حيث يختن الطفل في سن الرابعة والرجل الذي يقوم بهذه العملية أقصى ما يتسلمه من الأثرياء هدية لا تزيد عن ثمانية "بوجو"، أما الفقراء فيختنوا أولادهم

---

1 - Shualtal ville D'Alger vers la finds, paris,1998,p.97.

2 - احمد توفيق المدني، **محمد عثمان الباشا داي الجزائر (1766-1791)**، المؤسسة الوطنية للجزائر، 1986، ص.173.

3 - وليام سبنسر ، **المرجع السابق** ، ص.107 .

4 - Nacer Eddine saidouni,op , cits, pp ,284-285.

5 - وليام سبنسر ،**المرجع السابق**، ص ص. 118-120 .

6 - حمدان خوجة،**المرجع السابق**، ص.202

مجانا. ويتم ختان أبناء البادية على يد المرابط، فالختان بالنسبة لعرب الريف حفل ديني أكثر منه دنيوي[1].

المبحث الثالث : الحالة الصحية

لقد تفشت الأمراض و الأوبئة بين سكان الجزائر و يعود السبب إلى سوء الحالة الصحية إلى انتقال العدوى و انتشار الأمراض من الأقطار المجاورة و ذلك لصلة الجزائر بعالم البحر المتوسط[2] .

المطلب الأول : الأوبئة و المجاعة

أولاً- الأوبئة: لقد كان انتقال هذه الأوبئة الفتاكة من مواطنها الأصلية إلى الجزائر عن طريق توافد البحارة و الحجاج و الطلبة من أقطار الشرق الأوسط إلى الموانئ الجزائرية[3]

1 - عمار عمورة ، **المرجع السابق** ،ج2، ص.222 .

2 - ناصر الدين السعيدوني، **المرأة التركية...، المرجع السابق**، ص.559.

3 - أبو قاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال...، المرجع السابق**، ص.169.

.حتى أن السكان كانوا يطلقون على جميع الأمراض التي كانت تتفشي بسرعة بين السكان و تفتك بهم اسم "الطاعون" الذي كان يعرف بـ 3 أنواع :

1- طاعون الحمى البيبونيك: الذي يعرف بحب لدى السكان أو الجذري

2- طاعون الدم: وذلك بتسمم الدم

3] طاعون الرئوي: تتضرر الرئة بالتهابها خاصة في فصل الشتاء

أما عن وباء الكوليرا فقد كان ينتج عن استهلاك المياه الملوثة و الأوساخ المنتشرة في المستنقعات و الأودية و ذلك عن طريق طفيليات التي تصل إلى الأمعاء مما يعرضهم إلى الفناء[1] .

كما أكد بعض المؤرخين بان الطاعون جلب الفرنسيون إلى الجزائر في حملاتهم الاستعمارية عبر البواخر و أدى حينها إلى هلاك المئات من أبناء الغرب الجزائري و أكد علية أيضاً البيركامي[2]]

ثانياً- المجاعة:

أزمة سنة 1838م:

و فيها وقع قحط شديد أضر بسكان قسنطينة و باهل عمالها بناحية القبلة (الجنوب) و قد ذكر أنه علل هذه الأزمة تنحصر في ما يلي:

1-في سنة 1838م أصيب الزرع و اتلف.

1 - **Nacereddine Saidouni , op , cit , pp.38-39.**

2 - عبد فيلالي، **جرائم الفرنسي في مقاطعتي الجزائر و قسنطينة (1830م-1850م)**، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص-ص.12-13.

2-انقباض الفلاحين عن الحراثة كما غمرهم من فتن و أهوال بالاعتداء بعض الاعراش على البعض نتيجة للبلبلة التي تركها الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة عاصمة الولاية.

3-كثرة الأمطار والثلوج منعت الفلاحين من القيام بالأعمال الفلاحية أدى ذلك

- ارتفاع أسعار الحبوب من القمح و الشعير
- ضياع أملاك الناس و عقاراتهم تحت تأثير الحاجة للنقود

و لاحظ العنتري أن اليهود قد استولوا على ممتلكات المسلمين في هذه الأزمة و قد دامت هذه الأزمة 3 سنوات، و يؤكد العنتري أن السبب الرئيسي لهذه الأزمة هو هموم الجراد على الوطن و هذا ما أكد عليه أيضا[1] جنيرال نقرية[*] .

المطلب الثاني: الكوارث الطبيعية

يضاف إلى سوء الأحوال الصحية حدوث كوارث طبيعية التي أدت بدورها إلى تناقص السكان و تضرر الاقتصاد، وتتمثل هذه الآفات و الكوارث الطبيعية في:

أولاً- الزلازل: حيث تعرضت البلاد الجزائرية إلى عدة هزات أرضية عنيفة التي تسببت في تخريب بعض المدن و نتج عنها كثير من الأحيان خسائر في الأرواح و الممتلكات مثل زلزال وجهات الأطلس البليدي و نواحي ساحل متيجة و تسببت هذه الزلازل الأخيرة بالخصوص في هدم الدور في مدينة الجزائر و خراب مدينة البليدة و بالإضافة إلى زلزال جيجل الذي حطم جيجل على الآخر و هذا ما أدى بالفرنسيين إلى بناء مدينة جيجل من جديد [2] .

---

1 - صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة**، تحقيق رابح بو نار، الشركة الوطنية الجزائر، 1974، ص-ص.47.15.

(*) **جنرال النقرية:** هو الجنرال الذي تولى حكم قسنطينة بعد الجنرال فاليو فاتح قسنطينة 1937م.

2 - ناصر الدين سعيدوني، **دراسات و أبحاث، المرجع السابق**، ص.565.

ثانياً- الحرائق: و هذه الكارثة قام بها الفرنسيون و تسمى بحرب الحرائق 1844م و أكد عليها الجنرال كافياك حيث تم حرق مئات الآلاف من أشجار الزيتون زحف الجراد و حدوث الجفاف أدى إلى ظهور المجاعات[1] .

كما كانت الأحوال الصحية عامة تعاني من العجز الخطير في عدد الممرضين في معظم المستشفيات ففي مستشفى مصطفى باشا بمدينة الجزائر نجد خمسة ممرضين. أما عدد المستشفيات الأخرى في نواحي الجزائر عدد قليل بالإضافة إلى قدمها و مهددة بالانهيار و هذا ما أدى إلى كثرة الوفيات و انتشار الأمراض المزمنة[2] .

المبحث الرابع: العمران

لبست المدينة في العهد التركي حلة معمارية بمساجدها الزاهرة، ومآذنها العالية، وحصونها العاتية وقصورها الخلابة،وحماماتها الكثيرة والرائعة التي تستحق الذكر والتي كانت تشبه بدقة حمامات القسطنطينية والقاهرة ،امتزج فيها الذوق المحلّى بالذوق العثماني الشرقي ، وكانت أدوات البناء والزينة أحيانا محلية وفي بعض الأحيان تجلب من الخارج خصوصا من تونس وإيطاليا، وقد لاحظ الفرنسي جورج مارسي georgermarçais" إن أول ما يلفت انتباه المسافر عندما يحل بأرض الجزائر هو الوجود التركي الذي يتجلى فيما تركوه من آثار معمارية زاهية"[3].

1 - يحي بو عزيز، **سياسة استعمارية 1830م-1951**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص.29.

2 - صالح لميش، **دعم السوري للثورة الجزائرية**، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2010، ص.36-39.

3 - عمار عمورة، **المرجع السابق** ،ج2، ص192 نقلا عن جورج مارسي.

والفن المعماري للجزائر على عهد الأتراك يمتاز بدقة البناء والزخرفة واستعمال الرخام والنقوش بالعربية والتركية على الجدران وغيرها من ضروب الإبداع الفني،وتمثل المساجد والزوايا والقصور جزءا كبيرا من هذا الفن المعماري [1].

المطلب الأول: المساكن والمساجد

أولاً- المساكن: كان المسكن يخضع لعوامل جغرافية واقتصادية أدت إلى تميزه من منطقة إلى أخرى، والمساحة المبنية عبارة عن منازل جبلية تسمى "جنان"، وكانت ملك للأتراك والإسرائيليين والأوربيين، وفي الجزائر العاصمة كان القناصلة يختارون سكنات جبلية قريبة من المدينة وكذا في القليعة و شرشال [2].

والمساكن كانت مبنية داخل الحدائق وبالقرب من الطريق التي تشق الجبال والسهول ، وكانت منفصلة بحواجز عبارة عن أشجار مثمرة كانت تحجبهم عن المارة وتخلق لهم جوا من الراحة داخل العائلة [3] .

كانت تبنى المنازل في القرى الصغيرة أو في الأكفار بالأخشاب والقصب ويربط بعضه في بعض ولكل منزل أربعة أوجه ، وتفرش أرضه بنفس مادة البناء ثم يحصن الكل بخليط من الطين وخثي البقر لمنع المياه من التسرب وعلى السطح يزرع نوع من العشب يسمى الديس، ولا يزيد ارتفاع هذا البناء عن قامة الرجل .

ثم إن الأهالي يجمعون الحشائش وأوراق الأشجار فيدخرونها لتغذية الحيوانات عندما يسقط الثلج، وتأوي هذه المساكن في نفس الوقت: النعجة والمعزة والدواجن والكلاب والرجال والنساء والأطفال، كلهم يعيشون مكدسين في مكان واحد [4].

---

1 – حمدان خوجة، **المصدر السابق**، ص.65.

2 – يحي جلال، **تاريخ الأفريقية الحديث و المعاصر**، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1999، ص ص.50-51.

3 – مبارك محمد هلال الميلي ، **تاريخ الجزائر القديم و الحديث** ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1964، ج3، ص-ص.65-67.

4 – عثمان كعاك، **موجز تاريخ العام الجزائريين**، دار النشر و التوزيع، تونس، 1996، ص.30.

أما أهل المدن كالجزائر والبليدة يستعملون منازل كسكنات صيفية مريحة توفر لهم الراحة ومناظر طبيعية خلابة .

فسكان العاصمة كانوا يقومون بدهن منازلهم بالجير مرة في السنة على الأقل، الأمر الذي أعطى للمدينة والمنازل الجبلية جو من النظافة، وهذا حسب الاعتقاد السائد في ذلك الوقت، ولم يكن المقصود النظافة في حد ذاتها وإنما الاحتماء من أشعة الشمس الحارقة.

وسجل "I Sidore HEDD" بأن هاته المساكن الجميلة كانت متخفية كأوكار العصافير وبداخلها نافورة من الماء تتوسط دائرة مصنوعة من الرخام الأبيض وهذا عند الأغنياء فقط.

وكانت بعض المنازل لها غرف تطل على الخارج و بها نوافذ مشكلة بطريقة غير منظمة وبها سياج بحيث تحميهم من العوامل الخارجية، وتعتبر من أحسن الغرف لأن سقفها من اللوح وبه نقوش مطلية باللون الذهبي وكانت لهم قاعة جلوس تقابلها أشجار من الليمون والبرتقال وأزهار عطرة، وكانت بعض المنازل مميزة بفنها المعماري وأثاثها الثمين، مما أدى إلى انبهار المستعمر وتعجبه من وجود منازل بتلك الصفات عند شعب يعد عندهم قراصنة، ومن الملاحظ أن هناك فرق بين المساكن في العاصمة والمدن الأخرى ، بحيث أن السكنات في نواحي البليدة والقليعة كانت بصفة عامة عبارة عن طابق أرضي مغطى بالتين وليس فيها فناء ولا حنفية[1] .

ونجد ثلاث أنواع من السكنات خيمة للرعاة ، وبيت طين للخماسين ومنازل للفلاحين .

- **الأحواش:** كانت تتكون من منازل أهل المدينة "وممتلكات البيلك" وهي عبارة عن مزرعة حقيقية ومنازلها على شكل مستطيل، وكانت مسيجة بأشجار، التين الشوكي والزيتون.
- **الخيمة** : كانت تتموقع في جنوب وغرب دار السلطان .
- **البيت الطيني** : مبنى من الطين والتين وجذوع الأشجار .

1 – بن يوسف التلمساني، "**الحياة الاجتماعية في الجزائر، من خلال التقرير الفرنسي**"، **مجلة حولية**، ع17، تلمسان، 2002.

- **المنزل** "**الدار**" : كانت تعرف في سهل المتيجة وجبل الساحل وقد تم بناؤه من الحجر بالقرب من الدويرة مثل منزل"القائد إبراهيم" [1] .

إن الهندسة المعمارية الشرقية، وتقسيم المنازل المحلي يختلفان كل الاختلاف عما تعود عليه أهل فرنسا[2]، ففي أواخر القرن 18 م كثير من المعطيات تدل على انحطاط بطيء ولكن مؤكد للمنازل، وهذا راجع إلى الزلزال الذي ضرب المنطقة في 1791 و 1825م، والاستعمار الفرنسي زاد من تدهور الوضع خاصة بالجزائر العاصمة إبان تموقعه بها، بعد موجة من السرقة والتوسع والتخريب وهذا حسب Pélissier de Reynaud في شهر أوت 1830، وحسب تقرير اللجنة الإفريقية "فإن الجنود قاموا بنزع الأبواب والنوافذ وأعمدة الأسقف وكذا قطع الأشجار المثمرة من أجل التدفئة"، وامتد التخريب حتى طال القصور الراقية [3] .

ثانياً- المساجد : تميزت بنايات المساجد الجزائرية في الفترة العثمانية بطرق وتقنيات بسيطة إذا ما قورنت بغيرها من المساجد سواء في الوطن أو في خارجه، وهذا يعود إلى الظروف الدولية التي كانت تعيشها الإمبراطورية العثمانية، حيث كانت أكثر هذه المساجد قريبة من الحصون والربط الجهادية من حيث الهندسة وطريقة بنائها، فكان يغلب عليها الطابع الفني "المغربي الأندلسي" وخاصة في هندسة ونمط بناء المآذن، حيث لم تتأثر كثيرا بالنمط العثماني، بل حافظت على النمط المغربي الأندلسي [4] .

---

1 – صالح فركوس ، **حاج احمد باي قسنطينة احمد باي قسنطينة 1826-1850**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص-ص.16-17.

2 – فاطمة الزهراء سيدهم، "**الإيالة الجزائرية**" ،**مجلة الدراسات التاريخية** ،ع13 ،الجزائر،2011/09/13.

3 – صاح فركوس ، **مختصر في تاريخ الجزائر**، (14ق م -1962م)، دار العلوم، الجزائر، (د-س-ن)،ص.80.

4 – أحمد مريوش وآخرون، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، ص.25.

ومن المساجد الكثيرة التي كانت بمدينة الجزائر نجد "الجامع الأعظم" ويسمى الجامع الكبير وهو أعظم مسجد بالعاصمة ومساحته نحو 200 م^2، وهو للمالكية، إذ قبل نزول الأتراك بالجزائر لم يكن مسجد للحنفية، وتشييده يزيد بكثير على 9 قرون [1].

لقد أصبح هذا الجامع من المباني الهامة أو من العجائب حسب تعبير ابن سحنون الراشدي، حيث كان الناس يقصدونه للنظر والتعجب وقد وصفه الأديب الشاعر أحمد بن محمد بن علال الرومي وصفا شعريا مطلعه:

أنظر رعاك إله الخلق واعتبر لمسجد رائق قد لاح للبشر

ثم قال :

المحكم التشييد في شرفاتـه فتراه يخطف أعينا للنظر

ثم قال :

عجبا من مسجد في الأرض قد حاكى السماء تطاولا في المفخر [2]

المطلب الثاني : المقاهي الحمامات والقصور

أولاً- المقاهي: تعتبر من الأماكن التي يقصدها الرجال في الجزائر، فهي بمثابة مؤسسة يتم فيها عقد الصفقات، كما هو المكان الذي يقصده الأجنبي قصد الاحتكاك بالشعب الجزائري بهدف التعرف على حقيقته وتعلم لغته[3].

لقد أخذت المقاهي انتشارا واسعا في الجزائر. خاصة في الطريق المؤدي إلى الميناء وعرف بعدها بحي المقاهي وقدر عددها نحوى ستين مقهى، يجتمع فيها الناس منذ الصباح الباكر حتى تمتلئ القاعة تدريجيا. لكن ما يميزها هو طريقة الجلوس حيث يجلس الأتراك علة المقاعد لتناول القهوة أو الشاي كونهم الطبقة الأرستقراطية. أما البقية يجلسون على الحصير

1 – نور الدين عبد القادر ، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر (من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي)** ، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص.155.

2 – العربي اشبودان، **مدينة الجزائر تاريخ العاصمة**، ترجمة: الحاج مسعود ،دار القصبة ،الجزائر،2007، ص.60.

3 – سعيدوني و بو عبدلي، **المرجع السابق**، ص.105.

المفروش على الأرض. هذا وأنها لا تخلوا من الموسيقى والغناء بعد صلاة الظهر إذ كانت تلقى إقبالا كبيرا من الزبائن[1].

ثانياً- الحمامات : لقد كان هناك من الحمامات حوالي 60 في أيام Haedo و كانت بناياتها واسعة ونظيفة مضاءة من السقف ومجهزة بالماء البارد والمسخن، يدخل المستحم فيدفع أجره بورقتين اثنين، ثم يضع ثيابه في غرفة خارجية واسعة ومنها يمر إلى حجرة أخرى عريضة قد قسمت إلى مكعبات تتسع كل منها لأشخاص يتراوح عددهم بن 10 إلى 12، وفي كل مكعب يمر الماء الساخن عبر أنابيب البرونز المقامة على الحيطان والمعممة لسحابات البخار، ويمر المستحم عبر بخار تزداد حرارته شيئا فشيئا حتى يصل بالسكاك أوداسي sicakodaçi" الكاليداريوم Caldarium لدى الرومان، بالإضافة إلى وجود أرائك من القطيفة تغمرها ساحابات من البخار الساخن المعبأ بالرائحة الزكية، كما توجد بها غرف مخصصة للملابس [2].

ثالثاً- القصور : وإلى جانب هذه البنايات الدينية تفنن البناؤون الجزائريون في الأشكال الهندسية للقصور واستعملوا فيها النقوش الجميلة الممثلة في الأقواس المختلفة والقبيبات والخطوط المستقيمة والحلزونية والدوائر والمربعات والزخرفة النباتية بالفواكه أو الأزهار المتنوعة على الجدران بمختلف ألوانها الزاهية ، والكتابة التذكارية بالخط على الباب الرئيسي لمدخل القصر، وكانت القصور تبنى بالآجر والخشب لتدعيم المبنى [3].

تحتوي كلها على طابق أرضي يضم سقيفة تقوم مقام غرفة الاستقبال، تأتي مباشرة بعد البوابة الرئيسية للقصر، والفناء يتوسط الدار و بها أروقة وغرف بالإضافة إلى مطبخ وحمام ومرحاض وصهريج لتخزين المياه، وعيون جدارية ومخزن وطابق أو يضم غرف متفاوتة

1 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق**، ص.144.

2 – عمار هلال، **أبحاث الدراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص.13.

3 – مولود القاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830**، دار البحث الجزائر، ط1، 1985، ص.82.

الأحجام ومن فوقه يوجد سطح يستعمل لنشر الغسيل وعرض الثمار والأطعمة كالكسكسي للتجفيف وبجانب من السطح توجد غرفة للتنزه والترفيه أثناء سهراتهم الليلية.

كما تحتوي على باب ضخم في المدخل الرئيسي للقصر مصنوع من الخشب ومزخرف بالنحاس، ونوافذ قليلة مسيجة بشباك من الحديد توجد في الطابق الأرضي، تزود الغرف بالنور وأعمدة موجودة في المستوى الأرضي، وقد اعتنى أصحابها بتزيينها بالتحف الذهبية والفضية والأسلحة الثمينة والزرابي الرفيعة حتى أصبح وجهها الداخلي يشبه الفردوس، وخير مثال قصر "حسان باشا" المجاور لجامع كتشاوة، وهو الذي أمر ببناء هذا القصر البديع سنة 1791 م بعد توليه الحكم، فنجد فوق إطار الباب المؤدي إلى السقيفة الكبرى لوحة من الرخام كتبت عليها العبارات التالية "حبذا دار بناه مثل عدن ونزهة حسن باشا بجد وجد، قد كساه بهجة وزينة للناظرين وأتم عتبته بالسرور والسعود" [1].

1 – عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة المدبولي، القاهرة، ط1، 1995،ج 6-5، ص.66.

بعد دراستنا التفصيلية للحياة الاجتماعية في إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني ، وجدنا أن الحياة الثقافية متصلة بالوضع الاجتماعي ، لذا ارتأينا دراستها .

فما هي ميادين الحياة الثقافية وما مدى ارتباطها بالحياة الاجتماعية ؟

وللإجابة عن هذا الإشكال خصصنا فصلا لدراسة الحياة الثقافية للايالة أواخر عهد الدايات وبداية الاحتلال .

لا تكاد المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني تخرج عن المسجد والمدرسة والزاوية والكتاتيب،ومعظم هذه المؤسسات كانت للتعليم أكثر مما كانت للثقافة بمفهومها اليوم ، ولم يكن من هذه المؤسسات جامعة أو معهد عال، رغم أن بعض المساجد والمدارس والزوايا كانت تنشر تعليما في المستوى العالي.

سنحاول في هذا الفصل أن ندرس دور مؤسسات التعليم من كتاتيب ومساجد وزوايا ومدارس كما سنتطرق للحياة الثقافية والحياة الدينية من مذاهب فقهية وعناية بالوقت كذلك تشجيع حركة النسخ والتأليف، بالإضافة إلى مختلف الفنون والعلوم الفكرية والأدبية.

المبحث الأول : المؤسسات الثقافية

كانت معاهد التعليم في القطر الجزائري تتمثل في المساجد الزوايا، الرباطات، المدارس والكتاتيب والمعمّرات.

المطلب الأول: المساجد و الزوايا.

أولاً- المساجد: المسجد هو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة، أو العيدين وكثيرا أيضا ما يسمى بجامع الخطبة، وقد كانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم، فلا تكاد أن تجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد، فقد كان المسجد هو ملتقى العباد، ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة[1].

حيث كان المسجد هو الرابط بين أهل القرية والمدينة أو الحي، لأنهم يشتركون في بنائه كما كانوا جميعا يشتركون في أداء الوظائف فيه، وقد كان تشييد المساجد عملا فرديا بالدرجة الأولى، فالتقي المحسن هو الذي يقود عملية بناء المسجد والوقف عليه [2] .

ولكن أعيان القرية والحي كانوا يساهمون بالتبرعات ونحوها، ولا يتعدى مجهود السلطات الحاكمة في المجال مجهود الأفراد، فالدولة لم تكن مسئولة عن بناء المسجد، وكانت المساجد القائمة تثير إعجاب الرحالة حتى ولو كانت في غير المدن الرئيسية حيث أشاد الورتلاني ببعض مساجد قسنطينة حيث قال أن بعضها "متقن إتقان مسجد الباشا بطرابلس حتى كان بانيهما واحد" وكل من العياشي والدرعي وقد أشاد بجامع بسكرة الذي كانت له مئذنة في غاية الإتقان والطول والسعة بقدر الدابة، على الصعود إليه وأدراجها 140 درجة والمسجد واسع جدا

1 - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، ، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، (د-س-ن)، ج1، ص.246.

2 - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق**، ص-ص.246-247.

،متقن البناء بالإضافة إلى مساجد العاصمة مثل "جامع السيدة"(*) الذي كان آية في الفن المعماري، وكذلك مساجد عنابه والمدية وغيرها.

ولقد اهتم العثمانيون بالجزائر كأفراد ببناء المساجد وتحبيس الأوقاف عليها، ولم يهتموا بشيء آخر من حيث العمران، وكان اهتمامهم تشييد المساجد وتأمين الموارد لحمايتها، والإنفاق على إقامة الشعائر الدينية فيها، وكذا التعليم[1].

ويتضح مما سبق أن عدد المساجد في الجزائر، لم يكن قليلا وقد اشترك في تشييده الأهالي والأتراك على السواء، وكان هؤلاء يهتمون ببناء المساجد بدوافع دينية محضة، فمثلا سنة 1830م كان يوجد بمدينة الجزائر 14 مسجدا حنفيا و92 مسجدا مالكيا [2] .

ثانياً- الزوايا و الرباطات: كانت منتشرة في الريف والمدن ،منها الحرة التي لا تنتسب إلى ولي أو إلى طريقة،ومنها التي تنتسب إلى ولي فتكون بها ضريحه في الغالب ومنها التي تنتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية كالطريقة الرحمانية والطريقة القادرية[3].

1- عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أبنائهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة، وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامة مبادئ الدين أيضا، فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ويعلم فيه الطلبة، ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف ويصبح المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان أو رباط سيدي فلان، فإذا مات سيدي فلان يدفن في الزاوية أو في الرباط، بين أهل الناحية وتنتشر سمعتها ونفوذها

(*) من أقدم مساجد العاصمة ، وقد بنته كما تقول بعض الروايات ، بنت مولاي الناصر وقد سمي باسمها (جامع السيدة).

1 – العيد مسعود، "**حركة التعليم في الجزائر**"، **مجلة سيرتا**، ع 3، 1980، ص.64.

2 – محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة ويوضربة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص.197.

3 – سيدي احمد باياني، **الجزائر – سلسلة الفن و الثقافة**، وزارة الإعلام الثقافة، الجزائر، 1974، ص.53.

إلى نواحي أخرى، وكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة، محروسة بولي من الأولياء، فهو الذي يحميها من العين ونكبات الطبيعة ومن طمع الطامعين [1].

فهناك صلحاء:

- **مدينة الجزائر**: ضريح عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية عبد القادر الجيلالي.
- **مدينة قسنطينة**: سيدي الكتاني، سيدي عبد المؤمن، سيدي عفان، راشد.
- **مدينة تلمسان**: زاوية سيدي بومدين، سيدي محمد التوسي.

وتعد مدينة بجاية وزواوة من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا، فقد تصل فيها إلى 50 زاوية أهمها زاوية تيزي راشد (زاوية ابن الأعرب) وزاوية الشيخ محمد التواتي[2].

لعبت الزاوية في الريف دورا أكثر إيجابية من الزاوية في المدينة، وكانت الزاوية عبارة رباطان أو تعط إمامته ضد الأعداء، فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدون ويطعمونهم في زوايا ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد.

كان بناء الزاوية يختلف عن بناء المسجد والمدرسة، فالزاوية جمعت بين هندسة المسجد والمنزل، فهي عبارة عن حيطان منخفضة القباب والعرصات قليلة النوافذ ،وهي من الناحية الهندسية غير جميلة وشكلها يوحي بالتقشف والهدوء أكثر مما يوحي بالحركة والاختلاط،ومن أهم ما كان يميز بعض الزوايا والأضرحة كونها ملجأ يلجأ إليه الهاربون من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم،فقد كان الولاة والعامة يعتقدون في حصانة حمى الزاوية والضريح، ويكفي أن يهرب الجاني إلى هذا الحمى فلا يلحق به أحد ولا يمسه سلطان. كانت الرباطات تشبه

1 – عبد الرحمان الجيلالي، "**الجامع الكبير لمدينة الجزائر معماريا و تاريخيا**"، **مجلة الأصالة**، الجزائر، 1972، ع8.

2 – محمد بن ميمون الجزائري، تقديم محمد بن عبد الكريم، **تحفة مرضية في الدولة البكتاشية في بلاد الجزائر المحمية**، شركة النشر و التوزيع الجزائر، 1981، ص.59.

الزوايا من بعض الوجوه، ففي مثلها في خدمة الدين والمجتمع، ولكن ما ميز الرباطات يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد[1].

المطلب الثاني: المدارس و الكتاتيب و المكتبات

أولاً- المدارس: كانت المدارس العلمية مؤسسات ثقافية، تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وكان ظهورها بعد أن توسعت رقعة الدولة الإسلامية وانفصال الشعوب الإسلامية واحتكاكها بشعوب أخرى، فأصبحت الحاجة الملحة إلى اقتباس للمعارف والعلوم المتنوعة والاستفادة من مختلف المعارف الضرورية لحياة المسلمين، الأمر الذي فرض إنشاء هذه المدارس وانتشارها.

والجزائر لم تكن بها جامعات أو مدارس عليا بالمفهوم الحالي،خلال العهد العثماني بل كانت دروس مساجدها الكبيرة وزواياها تضاهي أو تفوق مستوياتها في بعض الأحيان دروس الجامع الأعظم في المشرق العربي،كالجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين.

غير أن المدارس الابتدائية في الجزائر كانت منتشرة في الأحياء والمدن والقرى والبادية والجبال النائية بأعداد كثيرة تلفت نظر الزائرين والرحالة، واشتهرت المدن الرئيسية بالجزائر خلال الفترة العثمانية بكثرة مدارسها [2]، وتتألف هيئة التدريس من أساتذة متفرعين، يتقاضون مرتبات من الأوقاف المحبوسة على المساجد والزوايا والمدارس ومن أساتذة متطوعين، يساهمون ببعض الدروس تقربا إلى الله دون أن يتقاضون مرتبا، إما لأنهم يمارسون مهنا حرة، كالتجارة لان لهم من الأملاك ما تغنيهم عن موارد الأوقاف.

---

1 – الجامعي الفاسي، رحلة الجامعي الفاسي، "**نقل عن مولاي بن لحسن، مدينة الجزائر خلال النصوص العربية و الأجنبية**"، **وزارة التعليم العالي للشؤون البدينية**، الجزائر، 1972، ع8، ص.62.

2 – رابح تركي، **التعليم القوي و الشخصية الجزائرية**، الشركة الوطنية، الجزائر،ط2، 1981، ص.29.

هذا بالإضافة إلى الأساتذة الزائرين(*) [1].

وكانت المواد التي يدرسها أساتذة المدارس يدعون كذلك مدرسين أو شيوخ، هي القواعد والمنطق، الميتافيزيقيا والحقوق، ثم تأتي الهندسة وعلم الفلك وعلم الجداول وهذا الأخير يساعد على تحديد مواقيت الصلاة الشرعية الخمس بكيفية دقيقة، ويكتمل التعليم بعلم الصخور لزخرفة المخطوطات، ورسم الرقبات لتفادي الأمراض ومعالجتها [2].

كانت هذه المدارس منتشرة في تلمسان التي كانت تتوفر على خمس مدارس ثانوية وعالية وهذا ما نوه به الرحالة المصري" ابن خليل عبد الباسط والكاتب المغربي الحسن الوزان "الذي أشاد باهتمام أهل تلمسان ببناء المدارس والإنفاق عليها، ويشير الفرنسيون بعد احتلالهم لتلمسان بأنهم وجدوا 50 مدرسة ابتدائية و مدرستين للتعليم الثانوي والعالي (وهي مدرسة أولاد الإمام ومدرسة الجامع الكبير)، أما في قسنطينة فمدارسها الابتدائية كثيرة خلال الفترة العثمانية الأخيرة، فمنذ دخول الفرنسيون مدينة قسنطينة قدر عدد المدارس بها حوالي 90 مدرسة وهذا العدد جعل الكثير من الدارسين يرى أن كل طفل كان له مكان في المدرسة، وبها 7 مدارس للتعليم الثانوي والعالي، كما أن مدينة الجزائر قد تضاربت حولها الأقوال في عدد المدارس الابتدائية والثانوية والعليا ، الموجودة بها خلال العهد العثماني، ويعود ذلك بصورة أساسية إلى إدخال المساجد والزوايا في عدد المدارس، وقدر عدد المدارس بمدينة الجزائر عند دخول الفرنسيين إليها بحوالي100مدرسة ابتدائية وغير ابتدائية[3].

(*) يقول الحسن الورتلاني في حديثه عن مدينة بجاية" وكنت كل عام أصوم فيها رمضان، ناويا للرباط مع تعليمي الطلبة، راجيا أن يكون لي حظ وافر منه، ونصيب كامل عندهم.

1 – عدي الهواري، **الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830–1960**، ترجمة: جوزيف عبد الله، دار الحداثة بيروت، ط1، 1983، ص.56.

2 – عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص–ص.205–206.

3 – عبد المنعم قاسمي حسني، **دور الزوايا و الطرق الدينية في محاربة الاحتلال الفرنسي في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص.20.

وقد اختفت بعض هذه المدارس منذ دخول الاحتلال من جراء انعدام الصيانة وبسبب تحويلها إلى مصالح عمومية.

ثانياً- الكتاتيب : تمثل الكتاتيب أقل وحدة من التعلم الابتدائي، وهي مأخوذة من الكتّاب وجمعها كتاتيب، وظيفتها الأساسية هي تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وترتيله، ودعت الضرورة إلى تأسيسها منفصلة عن المسجد، بغرض المحافظة على نظافته ووقاره ولكي يتحصل على جو الخشوع المطلوب عند أداء الصلوات المفروضة، والكتاتيب قد تنشأ متفردة أو في شكل مجمعات من البيوت مختلفة الأحجام والأشكال، وأغلبها تكون مؤسسة من طرف حفظة القرآن الكريم بغرض الحصول على لقمة العيش، وكانت الكتاتيب منتشرة في القرى والمدن وفي جميع الأحياء [1].

ويرتكز منهاج التعليم في الكتاتيب على تعليم القرآن والكتابة واستظهار كتاب الله، يضاف إلى ذلك – أحيانا – تعلم بعض مبادئ الحساب، أما طريقة التعليم المتداولة فلا تعدوا تمرين الذاكرة على الحفظ، وتتخذ حاستي السمع والبصر، والتدريب على صناعة الخط والزخرفة.

وكان هذا النوع من المؤسسات التعليمية (الكتاتيب) منتشرا في طول البلاد وعرضها، الأمر الذي أدهش القادة الفرنسيين على احتلالهم الجزائر، إذ كتب الجنرال دوماس Daumas في تقرير له في هذا الصدد يقول: "إن التعليم الابتدائي في الجزائر كان أكثر انتشارا مما يتصوره الإنسان عموما، فاتصالاتنا بالأهالي في الأقاليم الثلاثة ،أظهرت بأن نصف السكان من الذكور يعرفون القرآن والكتابة" [2].

أما المعمّرات فهي شبيهة بالكتاتيب القرآنية، كانت منتشرة في الأرياف الجزائرية أو القرى الجبلية خلال الفترة العثمانية ينتقل إليها التلاميذ الدارسون بها من مختلف الجهات الوطنية،

1 – احمد مريوش، **المرجع السابق**، ص.18.

2 – العيد مسعود، **المرجع السابق**، ص.62.

وأحيانا من خارج الجزائر من اجل حفظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله مع إضافة علوم أخرى دينية ولغوية ذات صلة بفهم القرآن وتفسيره.

و تسيير هذه المعّمرات كان يتم من طرف التلاميذ الدارسين بها، وذلك من حيث القيام بأعمال النظافة والصيانة وتحضير الطعام وجلب المياه وتنظيف المؤن الغذائية، والقيام برعي الحيوانات المحبوسة للمعّمرات، وكانت كل هذه الأعمال تتم دوريا وبصفة منتظمة في إطار أدوار متداولة ومتعارف عليها من التلاميذ الدارسين بهذه المعّمرات، وينقسم طلبة وتلاميذ المعّمرات إلى عدة فئات وذلك حسب السن والقدم والثقافة وهذه الفئات مصنفة إلى فئات كما يلي:

1. **فئة القدادشة**: وتتكون من التلاميذ الصغار.
2. **فئة الطلبـة**: تتكون هذه الفئة من الطلبة الذين يمثلون فئة فوق فئة القدادشة وذلك من حيث السن،والقدم والثقافة ويتركز اهتمام فئة الطلبة في حفظ القرآن الكريم.
3. **فئة المقدمين والوكلاء والشيوخ الكبار**: وتمثل هذه الفئة أعلى منزلة في المعّمرات فهي تقوم بمهمة التوجيه ماديا وفكريا،وتتمتع بكل الصلاحيات في حل المشاكل،المطروحة بالمعّمرات وهي معفية من كل الأعمال التي تقوم بها كل من الفئة الأولى والثانية (القدادشة والطلبة) [1].

ثالثاً- المكتبات: اعتنت المكتبة الجزائرية منذ أقدم العصور بالمخطوطات العربية، فجزء منها حفظته فهارس المكتبات العامة، وجزء آخر حفظته لنا المكتبات الخاصة التي قام على جمع مخطوطاتها بعض العلماء الجزائرّيين. ومن أشهر المكتبات الخاصة مكتبة الشيخ ابن الفكون في قسنطينة، ومكتبة الشيخ الهامل قرب بوسعادة، ومكتبة الزاوية الرحمانية بطولقة، ومكتبة الشيخ المهاجي بوهران.

1 - احمد مريوش، **المرجع السابق**، ص.20-21.

وكانت في تلمسان عدة مكتبات عائلية كمكتبة الشيخ أبي طالب، وما بقي من خزانة القاضي شعيب المعصوم[1]، وكذلك مكتبة زاوية سيدي أحمد بن يوسف بمدينة مليانة. كما توجد ذخائر من المخطوطات العربية حفظت عند علماء وادي ميزاب مكتبة الشيخ طفيش وقد حافظت العائلات الجزائرية التي عرف أسلافها بالعلم على ما خلفه الأوائل من تراث عبر القرون تبرّكًا[2] ووفاء لذكرى الأجداد.

ومن المكتبات الخاصة المشهورة في القطر الجزائري مكتبة الأمير عبد القادر الجزائري، وكانت تحتوي على الكثير من ذخائر المخطوطات العربية، وقد لازمته مكتبته الكبيرة في تنقلاته إبان مقاومته للاستعمار الفرنسي في بلاده، ومن المؤسف أن جل مخطوطات هذه المكتبة ضاعت في موقعة طاكين التي كانت بينه وبين الفرنسّيين. وقد تأثر الأمير عبد القادر الجزائري تأثرا كبيرا بسقوط مكتبته ونهبها من قبل المستعمرين، ولم يتسل عن فقدانها زمنا طويلا، وقد روى شاهد من عساكر الفرنسيين أنه كان من الممكن اقتفاء آثار جيش الأمير عبد القادر العائد من منزل الزمالة (العاصمة المتنقلة) لأن أوراق كتب الأمير كانت منتشرة في كل أرض مرت بها العساكر.

كذلك عرفت في التاريخ الجزائري مكتبة أخرى لقيت مصيرا مماثلا لمكتبة الأمير عبد القادر هي مكتبة الشيخ الحداد الجزائري ببلاد القبائل الكبرى، وقد استولى عليها الفرنسيون بعد ثورة سنة 1288هـ، 1871م. وقد صودرت بعض كتب هذه الخزانة الكبيرة، وضم بعضها إلى قسم المخطوطات في المكتبة الوطنية الحالية.

وتضم المكتبات العالمية مخطوطات ووثائق ألفها علماء جزائريون أو موضوعاتها تهم الجزائر كما هو موجود في مكتبات استامبول التي تجمع عددا من المخطوطات، والوثائق الجزائرية التي تتناول تاريخ الجزائر، وقد نقلت هذه المجموعات إبان الحقبة التي كانت فيها

1 – سفيان الزوايا ، "**معالم قرآنية**"، **جريدة الجديدة يومية**، ع9، الاثنين 2013/09/02، الجزائر، ص.4.

2 – عبد المنعم قاسمي حسني، **المرجع السابق**، ص.15.

الجزائر تحت حكم الدولة العثمانية، كما تضم مكتبات إسبانيا وهولندا وغيرها من الدول الغربية مخطوطات جزائرية.

وكثير من المخطوطات الجزائرية نقلها علماء جزائريون إلى مكتبات المغرب وتونس عندما هاجروا إليها وخاصة بعد العدوان الفرنسي سنة 1246هـ، 1830م، وهذا ما يفسر وجود مؤلفات لعلماء من عائلة المشرفي المعسكرية بمكتبات المغرب[1].

على أن الكثرة الغالبة من المخطوطات الجزائرية نقلت إلى فرنسا عنوة بعد مصادرتها من قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر ابتداء من سنة 1830م. والذي يرجع إلى مقدمة فهرس فانيان وهو أول فهرس مطبوع للمخطوطات الشرقية من عربية وتركية وفارسية محفوظة بالمكتبة الوطنية في الجزائر يجد أرقاما وأسماء لمخطوطات ضاعت من المكتبة، فقد ذكر من بين الوثائق الضائعة نحو 200 مجلد من بينها سجلان لقرارات الدايات، والمئات من العقود والرسائل والوثائق الإدارية. وكما حدث الاعتداء على المكتبة الوطنية حدث أيضا على مكتبة جامعة الجزائر، وقد ثبت لأحد العلماء الجزائريين العاملين في حقل المكتبات والمخطوطات العربية خلافا لما شاع بعد الاستقلال أن مخطوطات مكتبة الجزائر لم تحرق مع غيرها من الكتب المطبوعة يوم احترقت المكتبة الجامعية في السابع من يونية سنة 1962م بل نقلت كلها إلى فرنسا من قبل. كما تعرضت مكتبات المساجد وخزانات الزوايا والتكايا أكثر من غيرها للنهب والسرقة. وقد اتخذ هذا السطو أحيانا صبغة رسمية كما وقع لكتاب (العبر) لعبد الرحمن بن خلدون الذي نقل من المكتبة الوطنية الجزائرية إلى المكتبة الأهلية في باريس بأمر من الإمبراطور نابليون الثالث. واعتمد المستشرق الفرنسي دي سلان على هذه النسخة الجزائرية فيما اعتمد عليه من نسخ لنشر الجزء الخاص بتاريخ شمال إفريقيا من تاريخ ابن خلدون[2].

1 – محمد عبد القادر أحمد، **المكتبة الجزائرية**، دار نور الكتاب، بيروت، ط1، 1999، ص–ص.99–101.

2 – نزار دخمان، "**تراث مخطوطات**"، **مجلة الأفاق**، وزارة الثقافة، بيروت، ع9، 7–08–2001.

المبحث الثاني: الجوانب الثقافية

كان الشعب الجزائري على المذهب المالكي أما الأتراك والكراغلة كانوا يعتنقون المذهب الحنفي الذي أصبح في عهدهم هو المذهب الرسمي ولذا كان يوجد بالجزائر مفتي مالكي بجانب المفتي الأكبر الحنفي الذي يسمى بشيخ الإسلام ورغم قلة عدة الأتراك إلا أنه كان هو الشخصية الدينية الأولى في البلاد يحتل مرتبة مرموقة في السلم الاجتماعي،إلى جانبهم توجد أقلية يهودية لا تتعدى 1 بالمائة من مجموع السكان لها معابدها الخاصة وتمارس شعائرها الدينية بكل حرية وتمتلك مدارس تعلم فيها اللغة العربية وتعاليم التوراة وتحتكم إلى قضاة خاصين بهم وهم الأحبار،ورغم العدد القليل للمسيحيين إلا أنه كانت توجد كنائس بالجزائر وكانوا يتحاكمون إلى القنصليات المسيحية الموجودة في الجزائر، ولا تطبق عليهم قوانين البلاد إلا إذا كان النزاع وقع بينهم وبين المسلمين.

المطلب الأول: العناية بالوقف الثقافي

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية فهو أساسا يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم عن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي[1]، لقد انتشر الوقف بالجزائر العثمانية عبر حواضرها وأريافها ويشمل الأملاك العقارية، الأراضي الزراعية، البساتين، الحدائق، الدكاكين، أفران الخبز، الفنادق، العيون، السواقي، الصهاريج وغيرها [2].

كما شملت الأوقاف في التعليم والحج، وهناك أيضا أوقاف خاصة بالصدقة وأعمال البر و في سنة 1827م بلغ دخل أوقاف مكة والمدينة في العاصمة 122.503 فرنك وكانت هذه الأوقاف مخصصة لإيواء فقراء مكة والمدينة مجانا.

1 – سليم دكاك، "**الجزائر و الثقافة**"، **مجلة الثقافة**، ع24، الجزائر، 36-4-1975، ص.3.

2 – دنيا نادر، "**تراث الثقافي للجزائر**"، **مجلة الثقافة**، ع94، الجزائر، 1986/08/07، ص.20.

وكان الفائض منها يذهب إلى الأماكن المقدسة سواء كانوا في المشرق أو في الجزائر (*)[1].

ولكن هذه الأوقاف لم تكن دائما لأغراض دينية ففي أحيان كثيرة كان الناس يوقفون لحماية أملاكهم من الضياع أو لحمايتها من يد السلطة ومن حقهم أن يينصوا على أن يستفيد منها الأحفاد والفقراء، وكانت النساء تستفيد من هذه الأوقاف، ولاسيما عند الولادة أو اليتم أو الفقر. وكثيرا ما كانت الأسر تلجأ إلى طريقة الوقف لعدم ثقتها في صلاح الورثة، ولكن كل هذه الأغراض كانت ثانوية إلى جانب الغرض الرئيسي من الأوقاف هو خدمة العلم ومساعدة الفقراء والمساكين.

وقد كان هناك وكيل(**) على كل مؤسسة خيرية، وكانت مهمته العناية بالأوقاف ومراقبة الدخل وكانت الأوقاف لا تباع إلا في الأحوال النادرة ،وعندما تخشى عليها التلف، فإذا كانت الأوقاف عامة فإن الدولة تعين عليها موظفا رسميا ،أما إذا كانت خاصة هناك مجلسا يقوم بتعيين رجل صالح برقابة المجلس [2] .

المطلب الثاني: تشجيع النسخ والتأليف

شاعت حركة النسخ في الجزائر قبل وأثناء العهد العثماني فقد تميز الناسخون قبل مجيء العثمانيين بجودة الخط وحسن اختيارهم الورق وإتقان صناعة الورق والسرعة والمهارة في التوثيق والدقة في العمل والصحة في النظر [3] .

(*) استولت فرنسا على هذه الأوقاف عند احتلال الجزائر ، وقد أدى ذلك إلى خلافات وخصومات شديدة مع الأهالي.

1 – عبد الجليل التميمي ، "**وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم جامع الأعظم مدينة الجزائر**"، **مجلة التاريخية المغربية تونس 1980**، ص.57.

(**) **الوكيل** : الناظر ، القيم .

2 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق**، ص.227.

3 – نظالقواوة، "**الثقافة**"، **مجلة الثقافة**، ع42، الجزائر، 12–1978 ،ص.12.

وقد اشتهرت قسنطينة ببعض النساخ والخطاطين حتى قارنهم الكاتب بابن مقلّة في حسن الخط ومن هؤلاء أبو عبد الله بن العطار الذي كان من أسرة شهيرة تولت الوظائف الرسمية في العهد العثماني، وقد عرف العطار بجودة الخط وكما اشتهر به علي ابن مقلّة وكان يقصده الخاص والعام في الوثائق والعقود، وذكر الورتلاني أن أحمد التليلي(*) كان بديع الخط سريع اليد، وكأنه كان ينسخ كراسا من القالب الكبير أثناء السفر، أما يوم الإقامة فكان ينسخ أكثر من ذلك، وأخبر عنه أنه كتب في يرقة رحلة الدرعي وكتاب الصباغ عن الملياني وجميع ذلك حوالي ستين كراسة، وكان التليلي من علماء الظاهر والباطن، وكان النسخ يتم بالخط الأندلسي الذي قال عنه ابن خلدون أنه قد تغلب على الخطوط الأخرى في المغرب العربي وهو المعروف اليوم بالخط المغربي، وبالإضافة إلى ذلك جاء مع العثمانيين الخط المعروف بالعثماني وقد جاء ذلك مع أهل العلم الذين حلوا بالجزائر، كما جاء الخطاطين المختصين أيضا [1].

وتشير المصادر إلى انه كان بالجزائر خلال العهد العثماني بعض المشتغلين بصناعة الكتب عموما من وراقة وتجليد ونسخ وخط ونحو ذلك.وبشأن حركة التأليف كانت هي الأخرى حية ونشيطة في العهد العثماني، ولا تكاد تجد عالما إلا وله قائمة من المؤلفات عبارة عن شروح وحواشي وتعاليق ورسائل وفهارس في علوم عدة ،تتصدرها العلوم الشرعية وأيضا في التأليف ذات الأجزاء وعادة ما يجمع المدرس الأستاذ دروسه التي شرحها لطلابه في كتاب[2].

وكان التأليف من الطرق الهامة لنمو المكتبات ومن أشهر المؤلفين عبد الرحمان الأنصري وأحمد المقري، أحمد البوني وابن حمادوش وغيرهم وبعضهم ألف كتبه وهو في الجزائر وبعضه ألفها وهو خارجها لمناسبة جو التأليف في المهجر .

(*) **أحمد التليلي:** هو أحد أجداد الشيخ محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي، عالم بلدة القمار، وقد كان لحفيده قاسم التليلي عدة تقاليد بخطه وتوقيعه وهي في مكتبة السيد الصادق قطايم بقمار ، كما أن حفيده الشيخ محمد الطاهر المذكور نسخ منها ما يتعلق بتاريخ قمار وغيرها.

1 – يحي بو عزيز، **مع تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999، ص.295.

2 – عاصف عيد ،**قصة الثقافة العربية**، دار الحكمة،ع6، الجزائر، 1999، ص.4.

فقد ألف المقري موسوعته عن تاريخ الأندلس(نفح الطيب) في مصر كما ألف (أزهار الرياض) في المغرب الأقصى وألف يحي الشاوي وعيسى الثعالبي وابن حمادوش معظم أعمالهم في الخارج أيضا[1]. كما ألف الأمير عبد القادر بعد خروجه من الجزائر عدة أعمال فلسفية وتاريخية ودينية [2] ويعود الفضل في انتشار حركة التأليف والنسخ للحج والرحلة في طلب العلم.

1 – أحمد مريوش، **المرجع السابق**، ص.30.

2 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق**، ص.120.

المبحث الثالث: الجوانب الدينية

المطلب الأول: علوم شرعية

نقصد بالعلوم الشرعية الدراسات القرآنية كالتفسير و القراءات و الحديثة كرواية الحديث و درايتها، بما في ذلك الإثبات و الإجازات، و الفقهية من العبادات و المعاملات كالنوازل.

و قد كثرت هذه الدراسات بين الجزائريين خاصة بعد العهد العثماني إلى مجيء الفرنسيين حتى انه يمكن القول بان اغلب الإنتاج الجزائري يكاد ينحصر في العلوم الشرعية و الصوفية و المجالات الأدبية.

رغم أن معظم الإنتاج للعلوم الشرعية كان يفتقر إلى الأصالة و الجد، فان كثرة التأليف فيه يبرهن على سيطرت العلوم الشرعية على الحياة الفكرية عند إذن.

و لا شك إن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون القران و الحديث كان منبع الذي يستمد منه الجزائريون كل ألوان تفكيرهم و أنماط حياتهم [1].

و أهم ما يتميز به العلوم الشرعية في تلك الفترة التقليد و التكرار و الحفظ. فالفقهاء لما اجتهدوا أو استقلوا بآرائهم. بل كانوا يقلدون سابقهم تقليدا يكاد يكون أعمى[2].

كما أكد الكاتب علي مساهمة الجزائريين في العلوم الشرعية مساهمة هامة و لما تم العثور على هذه المؤلفات و درست دراسة متخصصة أصبح لهم تراث غزير، كما توصلنا أن للجزائريين كان تفكيرهم قائما على العلوم الشرعية و هو أساسه[3].

---

1 – أبو قاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق**، ص.87.

2 – وسيلة خلفي، **نظرية الاستقرار في الفقه الإسلامي**، دار الوعي، الجزائر، (د–س–ن)، ج1، ص.40.

3 – أبو الأشبال احمد بن سالم المصري، **سبل المرضية لطلب العلوم الشرعية**، دار الفاروق، القاهرة، (د–س–ن)، ص.70.

المطلب الثاني: الآثار الفقهية على ثقافة المجتمع الجزائري

سيطرة مختصر الشيخ خليل على مختلف الدراسات الفقهية المالكية في الجزائر، فإذا حكمنا من أنواع الشروح و الحواشي التي وضعت حوله كدنا نقول بأنه يأتي في المقام الثالث بعد القران و الصحيح البخاري، بل إننا إذا حكمنا من وفرة الإنتاج حوله وجدناه يفوق الأولين عدى [1]، فقد عرفنا أن التأليف المتعلقة بالتفسير و الحديث كانت في جملتها قليلة و غير أصيلة. ولم يكن خليل ابن إسحاق مصدر الفقه و التشريع في الجزائر فحسب بل كان مصدر للتبرك به أيضا. ولعلى هذه النظرة الصوفية هي التي جعلت الفقهاء، و قد غلب على أكثرهم التصوف[2]، و نجد في الفقه الإباضي المؤلف عبد العزيز الحاج بن براهيم الثميني حيث قد أوضح العمل في الفقه الإباضي الذي يحتوي على فتاوي المشاهير المذهب (لا مخل و لا ممل و لا ما نعى الظروف الصعبة لحل الشكاوي [3].

أما في الفقه الحنفي فقد كانوا يعتمدون غالبا في أحكامهم و فتاويهم علي الشروح و الحواشي المشارقة بالإضافة إلى كتابتهم إلى بعض النصوص في الفقه الحنفي منها الرسالة التي كتبها علي بن محمد (الرسالة في الصلوات) و التي موجودة في المكتب الوطني في الجزائر [4].

1 – أبو قاسم سعد الله، **المرجع السابق**، ج2–6، ص.296.

2 – احمد دردير، **الشرح الصغير على المختصر المسمى "اقرب إلى المسالك إلى مذهب الإمام مالك"**، مؤسسة المنشورات الإسلامية، الجزائر، 1992، ج1–6، ص.3.

3 – احمد بن محمد نصر الدين بن النقيب، **المذهب الحنفي**، مكتبة الرشيد، السعودية، ط1، 2001م، ج1، ص.15.

4 – مصطفي ناصر، **إثبات وجود إباضي**، ايطاليا، يوم الاثنين 2003/12/16.

المبحث الرابع: الحياة الفكرية و الأدبية

المطلب الأول: الفنون و الآداب

أولاً– الفنون: رغم القيود الدينية في المجال الفني فإن هناك بعض الفنون قد شهدت نقدا ملحوظا من ذلك فن الرسم، الفن المعماري وفن الموسيقى .

1. فن الرسم

من المظاهر الفنية للرسم في العهد العثماني بالجزائر نجد العمل التقليدي الكلاسيكي بالمصطلح الحديث للكلمة كالزخرفة والمنمنمات وليدة الحضارة العربية الإسلامية، وهذا من خلال ما نراه من دكاكين الحرفيين والمنازل، هذا إلى جانب الأعمال الفنية ذات القيمة استمرت تعيش داخل المنازل تنسج خيوط الثقافة الشعبية التي يعبر عنها المداح، المغني والشاعر.

فالفن البربري الذي هو أمام كل الغزوات استطاع أن يعيش في أعالي الجبال وأن يتقبل أشكالا جديدة. ومن أهم الرسومات، الرسومات البربرية المتعارف عليها والتي تزين بيوت سكان قبائل واد هياس و الرسومات الموجودة على الأواني الفخارية المنتشرة خاصة في الأوراس والقبائل Ouadhias .

وكان الطرز كشكل فني حضري أصيل منتشر في المدن الكبرى مثل الجزائر البادية ، تلمسان، قسنطينة .

وقد أعطت الحضارة الإسلامية في العهد العثماني فنا معماريا ساعد على إثراء فنون الرسم إذ استمدت منه المنمنمات والزخرفة أصالتها واستطاعت أن تفرض نفسها[1] .

2. الفن المعماري

تميز الفن المعماري في الجزائر خلال الحكم التركي بنقلة نوعية كبيرة ساهمت في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وهذا ما شهدته خزانة المتاجة وما زال باقيا إلى يومنا هذا من آثار

1 – رشيدة جواني، "**الفن في الجزائر**"، **مجلة المرأة** ،ع18، الجزائر، 2011، ص.50.

الدولة العثمانية، على تقدم الفنون المختلفة وبراعة الفنانين والصناع في شتى المجالات[1]. وشيد الأتراك العديد من المساجد على الطراز التركي حيث كان يوجد بمدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي 13 مسجد كبير، 109 مسجد صغير، 32 معبد صغير و 12 زاوية، وقد اندثرت كل هذه المساجد والزوايا بعد مدة قليلة من الاحتلال الفرنسي تحت ستار توسيع الطرقات وتنظمها ، وتحت ستار أسباب لا مبرر لها حيث لم يبق منها بعد الاحتلال إلا 9 مساجد كبيرة، و 19 مسجد صغير، و 15 معبد صغير، و 5 زوايا.

وأبرز ما لا يزال ماثلا للعيان ما يمس بالفن المعماري، وتنحصر الآثار المعمارية في ضريح الولي إبراهيم المحمودي والجامع المحاذي له ويحمل له اسم الولي وإلى جانب المدرسة التي أشاد المؤرخون بذكر جمالها، وقد أورد يحي بن خلدون أن بناءها دام سنة ونصف السنة(*)[2].

وقد تقدم فن تزيين البيوت من الداخل (الديكور) وظهر فيه الذوق المحلي وكانت الجزائر تستورد الرخام من إيطاليا، كما كانت تستورد الفسيفساء من تونس وإسبانيا وإيطاليا أيضا، وظهرت براعة الجزائريين في الأعمال الخشبية كالأبواب المنقوشة، والشرفات ذات الأعمدة الجذابة، كما امتازوا بأعمال الزرابي ذات الذوق الرفيع ،والفخار الملون الجميل، والطلاء بالذهب والفضة.

3. فن الموسيقى والرقص

وفي ميدان الموسيقى كان أهل الريف يستعملون آلات محلية كالبندير والطبلة والقصبة، وكان عرب المدن يستعملون آلات أخرى دقة كالربابة والقانون والعود والدربوكة والجواق،

---

1 – عبد المنعم حداد ، "**الفن المعماري**"، **مجلة الأصالة**، ع24، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 1975/04/03.

(*) وصفها يحيى ابن خلدون في زهر البستان قائلا: فأقمت مدرسته مليحة البناء، بنيت بضروب من الصناعات ووضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالأصبغة مرقوم وبساط أرضها، بالزليج مرسوم وضع فيها ضريحا مستطيلا وعلى طرفيه حصنان من الرخام يطردان مسيلا فيالها من بنيته ما أبهجها ....

2 – احمد مريوش، **المرجع السابق**، ص–ص.24–25 .

وكانت الألحان غما أندلسية أو محلية متأثرة بها، وكانت هناك فرق موسيقية متعددة، تجد مجالها في المقاهي وفي المناسبات الاجتماعية والدينية: الزواج، الطهارة، المولد ورمضان[1].

وكانت الموسيقى الجزائرية عسكرية بالطبيعة في الدرجة الأولى، وهي كذلك تعكس أصولها العثمانية، وتتكون فرقة الأوجاق العسكرية من 27 قطعة، 8 من بينها طنابير عريضة تدعى الداوول Dawul ويضرب عليها بالأصابع، وهناك 5 آلات نحاسية عريضة تدعى النكاريات Nekkare، وهناك عشرة مزامير مرصعة وبوقاز، وهناك زوجات من اللوحات الكفية، أما الطراز الموسيقي فكان من نوع المختار Mektar، وهو طراز شديدة الحدة النغمية وقد أصبح شعبيا [2] .

والنوع الشعبي الآخر من الموسيقى كان الأندلسي ، وقد جاء به المهاجرون الأندلسيون من إسبانيا ثم امتزج من حيث استعمال الآلات الشرقية في عزفه ، مثل العود ، الطار و*الرباب والناي ، وقد ظهرت في تركيبان مواويل الدراويش و الأناضوليين على مستوى الأصوات النصف نغمية[3] .

وخلال فترة الأيالة كانت فرق الأندلسيات المرتكبة من 20 أو 30 شخصا كثيرا ما تسمع في المقاهي الجزائرية، وحسب الوصف الذي يعطينا إياه رونوت Renauldt "فإن كل العزف يمر من الأذن طول الليل، وكانوا يسرعون في تفويت الوقت بسرعة من قياس موسيقي على آخر، بالإضافة إلى عدم الانسجام والدقة إلى حد كبير" [4].

وكان الأندلسيين مولعين بهذا الفن، حيث لم تبق الموسيقى وقفا على الملوك فخرجت إلى الشوارع والمنازل، وأخذ بتلابيها الشعب، فانتشرت الموسيقى وارتكز الفن التلحيني على النوبات،

1- 1 – أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق**، ص 103.

2 – احمد مريوش، **المرجع السابق**، ص.50.

3 – عيد مسعود، **المرجع السابق**، ص.18.

4 – حسين بهلول، **الحياة الثقافية في الجزائر – و العواصم العالمية**، مؤسسة الفنون، الجزائر، 1985، ص.176.

والنوبة نوع من التأليف الموسيقي تناوب التأليف الغنائي والتأليف الآلي ، وهي ابتكار أندلسي [1].

وكان الرقص أيضا شائعا ولكن لدى الممتهنين فقط سواء كانوا رجالا أو نساء، فالرجل المحترم، وكذلك المرأة المحترمة لا ترقص على الأقل أمام الناس، وكان الرقص عملا فرديا، وقد كان الرقص في المدن متأثرا بالرقص الشرقي، أما الرقص في الريف فقد كان يمتاز بطابع محلي، وفي أحيان كثيرة كانت الراقصة مغنية أيضا [2].

اعتمدنا في الحياة الفكرية والأدبية على أهم الأصعدة الثقافية من بينها الأدب الشعبي والأعمال التاريخية بالإضافة إلى مختلف الفنون .

ثانياً- الآداب: ونتيجة لضعف العربية الفصحى بين الناس شاع الأدب الشعبي الذي أصبح ميدانا للتعبير عن خلجات الشعب في السراء والضراء، وقد لمعت أسماء ابن مسايب التلمساني، وسيدي بن علي في هذا الميدان وكلاهما في القرن الثامن عشر، أما في القرن التاسع عشر فنجد شعراء سجلوا بعض خواطرهم في الأحداث الهامة، كما فعل الشيخ عبد القادر الجزائري في قصيدته عن احتلال الجزائر والشيخ قدور ولد محمد الذي كان يهاجم الأمير عبد القادر بينما كان الشيخ الطاهر بن حواء يمدحه، وقد وجد الروائيون في أبطال الإسلام والجاهلية كعنترة بن شداد، شخصيات يقولون على لسانها أشياء كثيرة، كما وجدوا في شخصية جحا وسيلة للتعبير عن ما لا يمكن أن يعتبرونه واقعيا، أما في ميدان الشعر الفصيح فهناك الأمير عبد القادر الذي سجل معاركه وانتصاراته بشعره، وله ديوان مطبوع في هذا

1 – محمد الطمار ، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1983، ص.250.

2 – علي مراد، "**تعليم المسلمين في الجزائر**"، **مجلة كوفليا**، ع33، فرنسا، 1963/07/06، ص.597.

الموضوع، وقد كان حمدان خوجة[*] يعرض الشعر أيضا، ولكن شعره الذي وصل إلينا ضعيف ومتصنف [1].

وجاء الشعر الشعبي ليسجل الانتصار الرابط بين حملة شارل الخامس الفاشلة وحملة الدانمارك ولينوه ببركة الأولياء الصالحين الذين ساعدوا في نظر الشاعر على تحقيق النصر أمثال الثعالبي أحمد بن عبد الله الجزائري ، سيدي الكتاني وعبد القادر الجيلالي وغيرهم من حماة مدينة الجزائر وحراسها اليقظين[2] .

ولقد استعمل الشعر الشعبي في العديد من القصائد التي تحث على الجهاد حيث أن العلماء والشعراء كانوا يضغطون على العثمانيين للقيام بالجهاد والفتح .

المطلب الثاني : الفكر و العلوم

أولاً– الفكر: فيما يخص الأعمال التاريخية فلم نجد أعمالا هامة ولكن يمكن أن نذكر بعض الأمثلة، من ذلك الرسالة التي كتبها عبد القادر المشرقي بعنوان "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر والعنوان يدل على المحتوى والرسالة في حوالي 24 صفحة.

وقد كتب حمدان خوجة كتابه المرأة ونشر منه الجزء الأول ووعد بنشر الجزء الثاني ولكنه لم يظهر ، ورغم أن الكتاب مترجم عن العربية ، فإنه إلى الآن لم يعثر الباحثون على الأصل العربي والغالب أنه ضاع [3].

والمرآة عمل تاريخي هام يعتبر من أهم الوثائق المعاصرة للاحتلال، وقد كتب من وجهة نظر جزائرية ويعتبر مصدرا ضروريا لفهم ردود الأفعال التي أحدثها الاحتلال الفرنسي في

(*) له قصيدتين في كتابه «إتحاف المنصفين والأدباء» إحداهما في شكل إهداء إلى السلطان محمود الثاني، والأخرى في شكل خاتمة الكتاب ، وقد نشر باللغتين العربية والتركية .

1 – نور الدين حاطوم، **المرجع السابق**، ص.30.

2 – أبو عيد دودو، **المرجع السابق**، ص.13.

3 – محمد صالح الصديق، **أيام خالدة في حياة الجزائر**، المؤسسة الوطنية الفنون، الجزائر ، 2009، ص.49.

سنواته الأولى كما أنه لا يمكننا تقييم أسلوب خوجة لأنه مترجم ويظهر أسلوب حمدان خوجة في كتابه المكتوب بالعربية وهو "إتحاف المنصفين و الأدباء" وخوجة يظهر في هذا الكتاب عصري الروح، طليق العبارة، واسع الاطلاع على أحوال بلاد عصره، كما كتب الحاج أحمد بن مبارك "تاريخ قسنطينة"[1] ومما يؤكد أن العلوم كانت ضعيفة في هذه الفترة، أن باشوات الجزائر كانوا يوظفون الأجانب للعناية ببعض الأشياء الدقيقة والفنية، ومن ذلك توظيف أحد الفرنسيين للعناية بالساعات الكبيرة التي كانت الدول الأوربية تهديها إلى الباشا، وتوظيف أجانب آخرين للعناية بالمدفعية وبناء السفن ونحو ذلك وكان دور الجزائريين ينحصر بمساعدة هؤلاء الأجانب فقط [2] .

ثانياً- العلوم:

1. **الحساب والفلك:** كان الإنتاج العلمي خلال أواخر العهد العثماني ضئيلا مقارنة بالإنتاج العلمي الذي عرفه القرن الخامس عشر للميلاد ولولا بعض الأعمال التي كتبها عبد الرحمن الأخضري وسحنون بن عثمان الونشريسي وبن حمادوش لخلا هذا العهد، أو كاد من التأليف في العلوم الحسابية والفلكية ونحوها ومع ذلك فإن هؤلاء كانوا يستمدون موادهم من تراث الحباك والسنوسي، وابن القنفذ والقلصادي، فقد ظلت قصيدة علي بن أبي الرحال القيرواني في الفلك وشرح الحباك (نيل المطلوب في العمل بربع الحبوب) كان يرجع إليه علماء الفلك ونفس الشيء يقال عن شرح محمد بن يوسف السنوسي (بغية الطلاب في علم الاسطرلاب) لأستاذه الحباك[3]، وكأن العقول في العهد العثماني قد تحجرت فلم تعد تنتج وإنما تستوحي من هذه الأعمال السابقة ما يحتاج إليه من عداء، وبالإضافة إلى ذلك كان عمل ابن البنا في الحساب

1 – صالح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشأتها**، دار البرق، بيروت، 2002، ص.146.

2 – أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق**، ص.200.

3 – نور الدين حاطوم، **المرجع السابق**، ص.30 .

وشرح الحباك وشرح ابن عبد الواحد الونشريسي عليه في المادة التي يعود إليها طلاب الحساب وعلمائه، ولكن مهما أجاد ابن البنا وشرحه فإن جمود العقول وعدم الاستفادة من تقدم العلوم الحسابية عند الأوربيين مثلا يعتبر ظاهرة غريبة في حد ذاته ، وقد مهر في الحساب طمست ، كما طمست مقدمة ابن خلدون في العلوم الاجتماعية فلم يستفيد علماء العهد العماني من عبقرية هذا ولا نبوغ ذاك [1] .

ومن جهة الفلك نجد إسهام التلمسانيين ونحوه كالتنجيم والحروف المتصلة بالتصوف وعلم الغيب، ومن علماء مدينة الجزائر الذين أهموا أيضا في الفلك والميقات محمد بن أحمد الصخري الأندلسي[*]، ومن جهة أخرى ألف أحد الجزائريين رسالة من الفلك أيضا سماها الحاشية الاختصارية الرملية الفلكية وهو علي بن حسن الجزائري والظاهر أن المؤلف كان من أتراك أو كراغلة الجزائر ثم استوطن مصر وبها ألف كتاب[2].

2. **الطب والجراحة** : أهمل الجزائريون الطب سواء القديم أو المعاصر، فلم يكون هناك مستشفيات باستثناء الزوايا التي كانت تأوي العجزة والمرضى، وكان المرجع في هذا الميدان هي كتب الأقدمين كابن سينا، وقد كانت فوائد الأعشاب معروفة للناس ولم يكن هناك امتحان أو مهنة للأطباء، والذين يقومون بالعلاج هم غالبا مرابطون يداوون بالجن والأرواح وليس بالعلم، وكان هناك بعض حملة الشهادات الذين يعالجون مرضاهم في دكاكين، شبه دكاكين أصحاب الحرف الأخرى[3].

---

1 – علي مراد، **المرجع السابق**، ص.18.

(*) الأصل جزائري المولد كما يقول عن نفسه.

2 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق**، ص.100.

3 – محمد العربي الزبيري، **المرجع السابق**، ص.17.

وفي بعض الأحيان كانت السلطة تستفيد من خبرة الأطباء والأجانب الذين يؤخذون أسرى [1].

وعند دخول الفرنسيين سنة 1830م أصبح الطب حملة حضارية وسياسية، وألغوا فكرة العلاج بالأرواح والشعوذة وأكدوا أن كل ما يتصل بالتطور العلمي ذو الصلة القريبة جدا من الإنسان له في هذا الحظ التخلص من تحاليل الخيال الوحيدة، هذا الحظ المشدود بضروريات محضة تقاوم التدابير النظرية البحتة[2].

أما الجراحة كانت شبه معدومة ، وكلمة حكيم هي الشائعة عند الناس، وكان الطبيب محل احترام وتبجيل[3]، فأعمال الجراحة كان يقوم بها الحلاقون الذين يلجأون إلى استعمال الكي، ولعل ضعف الطب هو الذي يفسر ارتفاع نسبة موت الأطفال في الجزائر وانتشار بعض الأمراض المعدية كمرض الزهري(*) [4].

كان وجود الأتراك متجها نحو الحروب فلم يعطى لأمر الثقافة ما تستحقه من عناية واهتمام ، ولهذا غلب على عهدهم طابع الجفاف الفكري، إلا أننا لا ننكر مدنا مثل بجاية، قسنطينة وتلمسان ومازونه، لم تزل محافظة على ما ورثته من التراث الفكري[5].

---

1 – محمد طمار، **المرجع السابق**، ص.50.

2 – افون تيرا، **مواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة (1830–1880)** ، ترجمة عبد الكريم اوزغلة، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص.84.

3 – ابو قاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق**، ص–ص.168–169.

(*) هو عدوة خطيرة تنتقل من شخص إلى أخر خلال ممارسة الاتصال الجنسي ، و يتسبب في مرض الزهري بكتيريا ، و يكون الانتقال العدوى من خلال الدم أو القرح لشخص مريض .

4 – أبو قاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق**، ص.140.

5 – ايفون تيرا، **المرجع السابق**، ص91.

المبحث الأول : القطاع الفلاحي

المطلب الأول : القطاع التقليدي في الزراعة الجزائرية

عند دراسة النشاط الاقتصادي الجزائري يلاحظ الطابع الزراعي و الرعوي الذي تمركز أساسا في الأرياف وأطراف المدن هذا في حين أن الحواضر تكاد تنفرد بالنشاط الحرفي[1].

لقد قدر بعض المؤرخين أن المجتمع الجزائري أنه مجتمع فلاحي، حيث كان يضم 90 بالمئة من سكان الأرياف، وبالرغم من هذا تعرضت البلاد إلى عدة مجاعات بسبب الجفاف الذي كان في معظم الأوقات مصحوباً بالجراد والأوبئة وإتلاف المزروعات بالإضافة إلى قساوة الطبيعة وضعف وسائل الإنتاج، حيث كان الجميع يستعمل وسائل بسيطة كالمحراث والمنجل، أما الماشية فكانت تعتمد على الطبيعة ونفسه، حيث كان بعض الأراضي تنتج من أجل السوق، أما الأخرى فكانت تنتج من أجل إشباع حاجيات أفراد الأسرة والتي تمثل القاعدة العامة.

ولقد كانت لكل منطقة منتوج زراعي خاص بها نظرا لاختلاف المناخ فنجد سكان المناطق المحلية وسكان السهول القريبة من المدن قد اهتموا بزراعة العنب الذي كان يستخدم في صناعة الخمور وأيضا إنتاج زيت الزيتون والتين [2].

أما سكان السهول العليا استقلوا بزراعة الحبوب كالقمح والشعير والأرز هذا بالإضافة إلى المنتجات الزراعية والصناعية،كالقطن، الكتان، العسل، الشمع والتبغ، وكانت المنطقة الواقعة بين الأطلسين التلي والصحراوي وشط الحضنة والحدود المغربية المنطقة الرئيسة لتربية المواشي كالأبقار، الأغنام، الماعز، الدواجي، الإبل، النحل، ودودة القز [3].

1- جمل قنان ، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830)**، دار هومة ، الجزائر، ط1، 1995، ص.75.

2- محفوظ قداش ، **الجزائر جزائريون تاريخ الجزائر (1830-1954)** ، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1983، ص-ص.15-20.

3- بشير كاشةالفرحي، **مختصر ووقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)**، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 2000، ص 13.

وهذا ما أكد عليه **شالر**".... فإننا نجد هنا جميع أنواع الحيوانات، الدواجن بكثرة بما في ذلك الفرس، الجمل، والثور والحمار والغنم والبغل والماعز والخيول العربية التي تتمتع بشهرة عالية، وإن تربية الحيوانات تلائم عدم الاستقرار وتمكن أهل الريف من أن تتهرب من الضرائب التي كان يفرضها الأتراك على المزارعين والتي تأخذ عينا وكان اهتمام سكان الأرياف بتربية الحيوانات..." [1]

المطلب الثاني : الشركات الأهلية للاحتياط

تعتبر هذه الشركات إحدى أدوات السيطرة الاستعمارية الإدارية للتأثير على الاقتصاد الجزائري، تحت قناع تهيئة القطاع الزراعي في الريف الجزائري. "فهو تنظيم يكون على أساس تجميع القطاعات في حالات القحط وتقديم سلفات للفلاحين جاءت هذه الشركات نتيجة حتمية لانهيار القطاع الزراعي الخاص بالجزائريين وانعزاله عن الاقتصاد، فسّنت الإدارة الاستعمارية سياسة قائمة على استيعاب الريف ودمج القطاع الزراعي في الحياة الاقتصادية، وحماية الفلاحين من الربا والمضاربات وخاصة وأن الجزائري وبسبب "قلة اقتصاده وقلة تحسبه للعواقب وعدم اكتراثه بالغد يرى في الاستدانة السلامة وفي اجلها المحدود أمدا طويلا لا ينقضي فهو لا يتردد والحالة هذه أدت إلى قبول العروض المفلسة[2]

وجاءت هذه الشركات بقرار **الجنرال ليبرت** لتجسيد فكر إسعاف الجزائريين وكانت أول شركة في مليانة [3].

1- أبو عيد دودو، **الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر**،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص.170.

2- محمد بلقاسم حسن بهلول،**القطاع التقليدي في الزراعة الجزائرية**، مكتبة الوطنية، 1985، ص.30.

3 - أندري نوشي، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة أسطنبولي رابح ومنصف عاشور، دار العلوم عنابة، 1988،ص.368.

الإدارة الاستعمارية استغلت الفلاح الجزائري أبشع استغلال "وذلك بحمله على كراء أرض زراعية لمدة طويلة كما هو الحال مع الشركة الاحتياط بعين تيموشنت التي حملت دور بدقس [1].

1 – اجرون شارل روبير، **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1968،ص.412.

المبحث الثاني : القطاع الصناعي

كانت الصناعة في الجزائر بسيطة يدوية مقارنة بالصناعة الأوربية خاصة بعد مرور الثورة الصناعية، حيث كانت موزعة، بين الريف والمدينة، فالأولى كانت تلبي حاجات سكان الريف، والثانية كانت تلبي حاجات سكان المدينة والفئات البورجوازية. [1]

ولذا كانت المصنوعات الجزائرية تعتمد أساسا على المواد الأولية الموجودة في البلاد كالأخشاب الغابات المغروسة في مدن جيجل، القالة، بجاية وأغلبها من أشجار الفلين، الصنوبر،جلود أو صوف المواشي،مناجم الحديد، الرصاص، الرخام، النحاس والفضة وتصنع في مختلف مناطق البلاد، مدينة الجزائر، قسنطينة، وهران، عنابة، تلمسان، بلاد القبائل، واد ميزاب، توقرت، قلعة بني راشد وغيرها، بالإضافة إلى صيد السمك والمرجان وكانت أهم النشاطات الاقتصادية متمركزة بالمدن الكبرى مثل: الجزائر، وهران، تلمسان، قسنطينة، عنابة، فمثلا في قسنطينة وجد الفرنسيون عند دخولهم 33 مصنعا لدباغة الجلود، 176 مصنعا للأحذية، 75 لصناعة السروج، وفي تلمسان 500 معملا لصناعة النسيج، هذا بالإضافة إلى مصانع الخشب، الحديد والجلد، وكانت الصناعة المحلية منتظمة تنظيما دقيقا حيث كان الحرفيون منخرطون في نقابات حسب التخصص وكل حرفة يشرف عليها أمين.

ولعبت الهجرة الأندلسية بالجزائر دورا إيجابيا في تحرير النمو الاقتصادي فقد جلبوا معهم العديد من الحرف المتطورة في ذلك الوقت سواء في الميدان العمراني أو الفلاحي أو الصناعي، فأنشؤوا مصانع متنوعة [2] .

---

1 – Shural Tal, **ville d'alger vers la fin de**, Paris, 1998, p.126.

2– نصر الدين براهامي، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، دار المعارف،القاهرة، 1985،ص– ص.253–257 .

المطلب الأول : الاقتصاد الخاص

يظهر هذا النموذج من خلال الصناعة المنزلية، فقد أدى إلى تطور إنتاجية النشاط الزراعي الرعوي إلى بدايات لتخصيص جزء من سكان الريف في بعض الصناعات مثل صناعة الأحذية، اللباس وهذا كما هو الحال في المرتفعات الجبلية. [1]

وكانت هذه الحرف تستجيب للمتطلبات المحلية للمدن أو المناطق المجاورة كما نجد أن الحرف تتوارث الأسرة الابن عن أبيه، حيث كانت لكل أسرة حرفة معينة يمتعون بها [2].

المطلب الثاني: الاقتصاد الرسمي

ويقصد بيه الإنتاج للبايلك أو للداي حيث كان لكل حرفة نظاماً خاصاً ومسؤولاً يشرف عليها الذي يطلق عليه "**الأمين**"أو"**النقيب**" وكان ينتخب بأغلبية أصوات الحرفيين وهو يلتزم بالدفاع عن ممثليه أمام السلطات، يعتبر النقيب إضافة إلى إشرافه على البيع والشراء، ويراقب جودة ونوعية المنتوج ويفك النزاع بين المعلم والصانع أو بين رؤساء الورشات ويقوم أيضا بتعليم المبتدئين أصول الحرف والعمل.

فالسلطة كانت تحتكر بعض البضائع والمشاغل وكانت عملية الاحتكار التي تمارسها عاملا في إعاقة ومنع تطور الحرفيين الأثرياء إلى شكل صناعي أكثر تطورا [3].

كما أنها كانت تحتكر جزءا من النشاط الصناعي مثل صناعة السفن ومسابك المدافع، ومطاحن الدقيق، والمحاجر وكانت هذه الصناعات الإستخراجية تمثل مجموعة من الضروريات التي تسند إليها قوة السلطة[1] .

1- سمون بغايفر، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1968، ص.102.

2 - عباس الكبير بن يوسف، **تاريخ الجزائر من العهد القديم إلى 1954**، دار الثقافة، بيروت،ط1، 1983، ص.199.

3- صالح فركوس، **المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م 1962م**، دار العلوم، عنابة، 1955، ص.79.

المبحث الثالث : القطاع التجاري

1- عبد القادر نور الدين، **صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث، قسنطينة، ط2، 1965، ص.138.

إن أغلب النشاطات التجارية، كانت متمركزة في المدن، حيث كانت المبادلات التجارية المحلية بين سكان المدن والأرياف، تنظم داخل الأسواق الأسبوعية يتم فيها تبادل السلع بالنقود أو المقايضة أو من أسواق مدينة الجزائر منها باب عزوز [1].

المطلب الأول : التجارة الداخلية

كان يقوم بها الأهالي في معظم الأحيان، كما كان يقوم بها اليهود في البعض الآخر، فكانوا يعرضون خدماتهم على الأهالي، بل يحملون البضائع حتى يحمون الصحراء إن اقتضى الأمر، فهم يشبهون الدكان المتنقل وكانت الاتجاهات هذه التجارة نشيطة بين الشمال والجنوب وضعيفة بين الشرق والغرب [2].

وبعض المؤرخين والكتاب أن التجارة الداخلية تجري المبادلات بين سكان الجزائر والدول المجاورة كتونس والمغرب،ليبيا، السودان، ... كما تتسم بزي عن طريق القوافل المحملة بالسلع العابرة على المناطق الشرقية والغربية والصحراوية، ومن بين المنتوجات نجد الأقمشة العقاقير، المجوهرات، الصوف التمور والمواد الغذائية زيادة على تجارة العبيد السود كانوا يجلبون من الأقطار الإفريقية السوداء ولعلها كانت أهم سلعة مربحة [3].

المطلب الثاني : التجارة الخارجية

كان يمارسها في اغلب الأحيان الأجانب وخاصة اليهود وبعض الأهالي، و لبيان قيمة الصادرات و الواردات للجزائر نستعرض قائمة للتجارة الخارجية التي أكد عليها **وليام شالر:** أن بريطانيا كانت تحتل الصدارة للواردات في الفترة التي بدأت العلاقة التجارية تتوتر بين الجزائر و فرنسا و ذلك بسبب الديون التي كانت على فرنسا و التي تتهرب من دفعها، بالإضافة إلى تراجع الأسطول التجاري و ارتباط الجزائر باتفاقيات مع الدول الأوروبية الأخرى و هذا ما أكد عليه **عزيز سامح ألتر** «...أصبح السوق المغطى مهجورا ولم يعد يسمع صوت الدلالين الذين

1 – بوعزة بوضرساية، **الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1999، ص.3.

2 – مولود قاسم نايت بلقاسم، **شخصية الجزائر الدولية**،دار البعث، قسنطينة، ط1، 1985، ج1، ص.15.

3 – زبير سيف الإسلام،**سجل تاريخ الاستعمار في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص.65.

كانوا يبيعون بعدما كانت ذات نشاط و حيوية، فقد كانت أموال المسيحيين تتدفق عليها بكميات لا تحصى...»[1].

و من الملاحظة حول التجارة الخارجية أن الصادرات تمثل المواد الأساسية للسكان خاصة منها الحبوب أما الواردات في أغلبها تلبي عنه الفئات البورجوازية في حياة الرفاهية[2].

أما بالنسبة للعملة الخاصة بالجزائر فكانت تكون من قطع النحاس، فضة و ذهب حيث نجد البروب هو من النحاس المستدير الشكل و لأسبر من الفضة مربع الشكل و تشكل 10 قطع منه ريالا اسبانيا، و يضرب بال بورب و الأسير في مدينة الجزائر فقط، و تصنع قطعة الربيع من الذهب المزدوج بالنحاس و هي مستديرة الشكل و تساوي 25 أسبر، و يضرب بالربيع و الزبانية في تلمسان، و تساوي الزبانية 100 أسبر حوالي 3,25 فرنك[3].

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، أصدر القائد العام للقوات المسلحة الفرنسية في الجزائر في 1831/12/07 قرارا يقضي بأن النقد الفرنسي عملة رسمية في الجزائر و لا يمكن رفض تداولها في المعاملات التجارية، وقد اتبع انتشار العملة الفرنسية تقدم وتوسع الاستعمار وسيطرته على أسواق وثروات الجزائر، وازداد انتشارها أكثر بفعل تأسيس " البنك الجزائري" باعتباره بنكا مركزيا في 1851، الذي أصبح يصدر قطع النقد الضرورية للتداول، وأصبح المصدر الأساسي لتوفير رؤوس الأموال التي كانت تكاد أن تكون منعدمة تماما، وتعد أكبر مؤسسة نقدية ومالية يشجع على خلق وتداول الثروة، حيث صار يقدم مساعدات مالية للتجار، خاصة الوسطاء القادرين على تسديد الديون، حيث أن التجارة هي التي تطلبت وجود هذا البنك وليس الزراعة في بداية الأمر، فالقطاع الأوروبي لم يكن ليتوفر على إنتاج كبير بعد، بل كان يعتمد على قطاع الإنتاج الاقتصادي التقليدي. لذلك كان القطاع الأوروبي يلعب دور الوساطة

1- جون وولف،**الجزائروأوربا (1500-1830)**، ترجمة أبو القاسم سعد الله،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986،ص.163.

2- فوزي سعد الله، **يهود الجزائر، هؤلاء المجهولين**، شركة الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، 1995، ص.120.

3 - جون وولف، **المرجع السابق**، ص.156.

بين القطاع التقليدي والأسواق الخارجية، فالأعمال التجارية هي التي أحست بضرورة وجود هذا البنك، الذي وفر رؤوس الأموال المقروضة للتجارة التي بقدر زيادتها تزداد التجارة ازدهارا [1]. إذن فالقروض هي المصدر الوحيد للتمويل لأن رؤوس الأموال الناتجة عن الادخار لم تلعب دورا مهما، فالقروض عوضت الدور الذي تقوم به رؤوس الأموال.

وإذا كانت رؤوس الأموال قد لعبت دورا كبيرا في نجاح الاستعمار في بلدان أخرى، فإن هذا الدور في الجزائر كان ضعيفا جدا، حيث غالبا ما كانت رؤوس الأموال هذه بأيدي المرابين، في حين أن الرأسمال الفرنسي لم يكن يشارك إلا في حالات استثنائية، وبفوائد عالية، في القطاع الأوروبي، أما في القطاع التقليدي فهي منعدمة تقريبا[2].

ويرجع ضعف مساهمة رؤوس الأموال في تنمية الجزائر في المرحلة الأولى من الاحتلال إلى أن أصحاب رؤوس الأموال هذه كانوا يخافون من عدم نجاح الاستعمار لكون الوضع السياسي كان يتميز بعدم الاستقرار، وأن المقاومة لازالت مستمرة في بعض المناطق، كما يرى هؤلاء بأن أراضي الجزائر ليست حديثة الاستغلال وإنتاجياتها محدودة وغير ثابتة نظرا لاختلاف مناخها من سنة لأخرى، وأن الاستعمار في الجزائر استيطاني وزراعي تقوده الحكومة الفرنسية وتمويله، وليس استعمارا يعتمد على الشركات الاستغلالية الكبيرة التي تتوفر على رؤوس الأموال الكافية للاستثمار وتمويل المشاريع [3].

ثم أن المستوطنين الوافدين من أوروبا هم من أدنى الطبقات الاقتصادية والاجتماعية في أوروبا، حيث أنهم يحتاجون إلى رعاية وإشراف من قبل السلطة الفرنسية. كما أن فرنسا تريد من الجزائر أن تكون مقاطعة تابعة لها، ولهذا لم تعمل على تشجيع الاستثمار الأجنبي فيها[4].

---

1 – عبد النور حجي، "**العملة في الجزائر**"، **مجلة التاريخ العربي**، وزارة الثقافة، بيروت، ع475، 01-02-2000.

2 – محمد بن عبد القادر، **تحفة زائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر**، تحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة، بيروت، ط2، 1995، ص.155.

3 – نادية عطية، "**العملات في الجزائر**"، **مجلة الثقافة**، وزارة الثقافة، ع8، 11-12-1999.

4 – أجرون شارل روبير، **المرجع السابق**، ص.120.

المبحث الرابع: الحياة الاقتصادية في عهد الأمير عبد القادر

المطلب الأول: دور الأمير عبد القادر في الأوضاع الاقتصادية

لقد تطرق الأستاذ الباحث ناصر الدين سعيدوني إلى مسألة النظام المالي بإطناب في كتابه القيم الموسوم بـ "النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني" هذه المرحلة الخطيرة في تاريخ الجزائر والتي مهدت بمظاهرها السلبية منها والاقتصادية إلى الاحتلال المبكر للجزائر منذ جويلية 1830، فحكام ايالة الجزائر ضربوا عملتهم الخاصة بهم بعدما أسسوا لها دارا للسكة قرب قصر الداي، والتي انتقلت بعد ذلك إلى القصبة ابتداء من 1817. ولعل أهم

ما ميز العملة في ايالة الجزائر خلوها من صور الحكام والشعارات والرموز إضافة إلى شكلها المستدير، كل هذه الاستثناءات ميزت العملة العثمانية في الجزائر على النقيض من العملات المغاربية التي امتازت بشكلها المربع وهذا التقليد ظل متعاملا به منذ العهد الموحدي، في الوقت الذي كانت فيه العملة الجزائرية تقلد فيه العملات التركية، وأما قيمتها فقد تعددت من عملات ذهبية ,فضية ,برونزية ونحاسية ولكن شح المعادن في الجزائر لأسباب عدة منها عدم وجود مناجم كبرى كذلك لانقطاع ذهب السودان منذ القرن السابع عشر، بعد تزايد نشاطات البرتغال في غرب إفريقيا، كلها[1]

عوامل اضطرت حكام الجزائر الأتراك إلى دعم دار السكة مباشرة من المعان الثمين ة المكدسة في خزينة الدولة، وان كان ذلك حسب رأينا لم يكن بالقدر الكافي، فالسؤال الذي يبقى مطروحا إلى يومنا هذا لماذا لم يستغل حكام الجزائر الأتراك الوفرة المالية التي كانت تزخر بها خزينة الدولة من عائدات أعمال القرصنة في بناء الاقتصاد الجزائري على أسس صحيحة وسليمة؟ أو على الأقل تقويم النظام النقدي والعملات المحلية في وقت عزت فيه العملات حتى اضطر الناس الرجوع إلى نظام المقايضة البدائي، بفعل النقص الكبير للعملة إلى جانب فقدان الثقة في العملات النقدية بسب انتشار عمليات التزوير. ونحن لا نبالغ في التضخيم من حجم خزينة الداي فرغم تضائل عائدات أعمال القرصنة في أواخر العهد العثماني إلا أن الخزينة كانت مكدسة بأموال وعائدات خيالية[2]، كما يؤكد على ذلك بيير بيان Pierre Péan في كتابه القيم « main basse sur Alge » ، هذه الكنوز التي ثم تحويل أكثرها من طرف كبار الضباط مثل ديبرمون "Du Bourmont" والعائلات الثرية إلى

1 – ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر**، **المرجع السابق**، ص.220.

2 – شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1998، ص.73.

وجهات خاصة في واحدة من أعظم عمليات النهب واللصوصية في التاريخ، هذه الأموال التي سمحت ببعث الصناعة الحديدية والمعدنية الفرنسية [1].

وهذه نتيجة منتظرة لعقلية " الاكتناز thésaurisation" التي كانت تسيطر على عقول ونفوس حكام الجزائر, في وقت اعتمدوا فيه على الحلول الترقيعية كشراء المعادن الثمينة من العامة بغية دعم العملة ,إلا أن ذلك ظل غير كافي خاصة مع ندرة العملة ورواج عمليات التزوير، وهذا ما تسبب في فقدان الثقة واللجوء إلى المقايضة، كل ذلك كان بسبب ما ألت إليه الجزائر من تدهور للأوضاع الاقتصادية والمعيشية، في وقت تطورت فيه النظم المالية والنقدية الأوربية، بعدما تأسست المؤسسات المالية والبنوك وتطورت المعاملات والتحويلات النقدية باستعمال السندات والصكوك مع سهولة انتقال الرساميل[2].

هذه التطورات النقدية والمالية التي كانت تمر بها أوربا أراد الأتراك في الجزائر استعمالها لصالحهم، وذلك بفتحهم الباب على مصراعيه أمام تدفق العملات الأوربية والأجنبية في السوق الجزائرية، وهذا ما ساعد على توفير النقود الضرورية في التعاملات التجارية، ويبدو إن هذه العملات تم الحصول عليها بشتى الطرق سواء بفضل نشاطات الشركات الأجنبية، الإتاوات والهدايا وإجراءات عتق الأسرى المسيحيين، إضافة للعلاقات المميزة العثمانية الاسبانية، الشيء الذي سمح بهيمنة العملات الاسبانية بكثرة على السوق الجزائرية. ولم يكن ذلك استثناء للقاعدة فقد استطاعت العملات الاسبانية من غزو السوق المالية العالمية في ذلك الوقت من أمريكا إلى الصين بفضل ذهب مستعمرات العالم الجديد.

وهذا ما يفسر هيمنة العملات الاسبانية على السوق الجزائرية ,رغم أنها لم تكن العملات الوحيدة، فقد نافستها في السوق الداخلية العملات التونسية و المغربية وعملات كل

1 – نزار أباظة، **الأمير عبد القادر المعلم المجاهد**، دار الفكر، لبنان، ط1، 1999، ص.24.

2 – إسماعيل العربي، **العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص-ص.110-111.

الأقطار العثمانية المشرقية وعملات الجمهوريات الايطالية والنمسا والبرتغال وفرنسا . وكانت أشهر هذه العملات على الإطلاق المتداولة في الجزائر:

1- الدبلون EL DABLAN وهو الدينار أو ما يعادله ذهبا.

2-الدوكة DUCAT ، وكانت تعادل دينار ذهبا .

3-الكورونة COURROUNNE ، التي اشتهرت بكثرة وكانت من الفضة الخالصة

4-الدورو الاسباني DOURO [1].

5- الريال REAL المنتشر بكثرة [2].

تم تأتي بعد ذلك من حيث الأهمية العملات التونسية نظرا للعلاقات التجارية الكبيرة عبر الحدود ما بين الجزائر وتونس وأهم هذه النقود.

1. الدرهم الناصري.

2. الريال الفضي.

إضافة إلى رواج عملة « الزيان الذهبي» وهو من بقايا العملة الزيانية كما تم تداول النقود المغربية في الغرب الجزائري وذلك نظرا للنشاط التجاري المتزايد عبر محور تلمسان-فاس. ومن بين أهم هذه العملات المغربية البندقي العشراوي، نصف البندقي العشراوي المثقال الموزونة، الفلس، الريال، الدرهم، إضافة إلى العملات التركية العثمانية

3. المحبوب، زر المحبوب الذهبي، نصف المحبوب[3].

ورغم قوة العملات الأجنبية خاصة الاسبانية منها إلا أنها ظلت ثانوية بسبب فقدان الثقة بها من طرف العامة مقارنة مع العملات المحلية التي كانت تمثل شرعية الدولة ورمز من رموزها. وأهم العملات المحلية في تلك الفترة هي :

العملات الذهبية

1 - Bouchnak Mounir, **La Monnaie De L'Emir Abdelkader**, Alger, Smed, 1976, P.118.

2 - Pierr ,**Main Basse Sur Alger**, Paris, Plon, 2004, P.227.

3 - شارل هنري تشرشل، **المرجع السابق**، ص.86.

-السكة أو السلطاني, نصف السلطاني, ربع السلطاني.

العملات الفضية

-ريال بوجو، زوج بوجو، دورو الجزائر، العائمة، ربع بوجو، تمن بوجو، موزونة، زوج موزونة، الأسبر الفضي.

العملات النحاسية

-الخروبة ريال، درهم صغير، زوج دراهم صغار، الأسبر النحاسي ,الفلس.

إلا أن أهم ما ميز العملة الجزائرية في تلك الفترة من أواخر العهد العثماني، عدم استقرارها وصعوبة تحديد قيمتها بسبب تذبذب الأحوال الاقتصادية والسياسية في البلاد، ساعد على ذلك ندرة المعادن الثمينة كما ذكرنا، مما تسبب في تدني القدرة الشرائية رغم تدني أسعار الغلال[1]، زاد من ذلك رواج أعمال تزوير العملة خاصة في بلاد القبائل، رغم عقوبة الإعدام حرقا التي كانت تطال المزورين، والعقوبات الجماعية ضد القبيلة التي يثبت تورط أحد أبنائها في عمليات التزوير بعدما يكون محل بحث ولم تستطع الدولة الوصول إليه[2].

كل هذه العوامل مجموعة تسببت في ركود الاقتصاد و عودة المعاملات بالمقايضة البائدة، في وقت تطورت فيه المعاملات الاقتصادية في أوربا كما ذكرنا أنفا. هذه الظروف كلها أسهمت في تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الجزائر، وزاد بعد الهوة بين الحكام الأتراك المستبدين، والغير مبالين بشؤون العامة وبين بقية الشعب الذي فقد الثقة في هؤلاء الحكام، الذين اختزلوا واجباتهم إزاء العامة في جمع الضرائب وبطريقة سادها الكثير من التعسف والظلم، فكل هذه الأجواء الموبوءة، ساعدت قوات الاحتلال الفرنسي من النزول في الجزائر، واحتلال مدينة الجزائر من دون عناء كبير[3] .

النظام المالي والنقدي في دولة الأمير عبد القادر

---

1 - ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص.86.

2 - إسماعيل العربي، **المرجع السابق**، ص.202.

3 - نصر الدين سعيدوني، **النظام المالي، المرجع السابق**، ص.56.

بعد استعراضنا لمجمل الأوضاع النقدية و المالية في أواخر العهد العثماني ,وما كانت عليه الأمور من تداخل نقدي غير عادي بين العملات الداخلية والأجنبية, وانعكاسات هذه الفوضى النقدية على الأوضاع الاقتصادية والمعيشية في الجزائر، بسبب سلبية حكام الجزائر إزاء وضع إصلاحات نقدية، فلا شك أن هذه العقلية اللامسؤولة لحكام الجزائر الأتراك سبب مباشر في الاحتلال المبكر للجزائر، هذا الاحتلال الغير عادي في كل شيء، في توقيته حتى قبل بروز الفكر والنزعة الامبريالية في أوربا وتشكل كبرى الإمبراطوريات الاستعمارية، إضافة إلى طابعه الاستعماري الاستيطاني الذي قام باجتثاث البنية التحتية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وحتى العمرانية، لمسخ الجزائر وإفراغها من محتواها العربي الإسلامي باستعمال مسوح التغريب و الفرنسة[1] .

وأمام الفراغ السياسي والأمني الذي تركه الأتراك باستسلامهم المهين للجيش الفرنسي, كان لزاما أن يكون هناك ردة فعل من الجزائريين للوقوف ضد تهديدات المحتل، و على أثر ذلك اجتمعت قبائل الغرب الوهراني وبايعت الأمير عبد القادر الجزائري الحسيني، ليضع بذلك هذا الأمير الشاب الأسس الأولى للدولة الجزائرية الحديثة، وبذكائه الحاد ونظرته الثاقبة حاول منذ البداية أن يبسط نفوذه على كافة مناطق الجزائر لكسب المزيد من الشرعية، وتوحيد الصفوف وتكثيف الجهود، للذود عن حمى الوطن وقهر المحتل. وكان له ما أراد بالتفاف الجزائريين حوله، خاصة بعد ما رأوه من نبل صفاته وصدق نياته، في دفع المعتدين عن "دار الإسلام"[2].

والملفت للانتباه أنه لأول مرة حسب علمنا في تاريخ المغرب الإسلامي يتم مبايعة الحاكم وفق إجماع شبه كلي وطبقا لمبادئ الشورى المطابقة لقواعد الدين الإسلامي، وبدون إراقة دماء، والأغرب من ذلك كله زهد محي الدين في الحكم وتزكيته لابنه الشاب لتولي هذا المنصب الخطير في تلك الظروف العصيبة، بعد إلحاح الأعيان ومشايخ العلم والدين ورجالات

1 – شارل هنري تشرشل، **المرجع السابق**، ص.22.

2 – ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص.10.

التصوف، بعدما أدرك الأمير حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، بما أنها فرض من الفروض الكفائية الواجب القيام بها على الفور[1] .

رغم إدراكه جيدا صعوبة الموقف، بعدما لاحظ في أول لقاء له مع العدو في موقعة "خنق النطاح" الأولى والثانية التفاوت الكبير بين قواته وجيش المحتل المتفوق عسكريا وتقنيا ولوجيستيا، في وقت كان يعتمد الأمير على قبائل مستضعفة منهكة محدودة الموارد ضعيفة التسليح[2] .

الضرائب في دولة الأمير عبد القادر

أهتم الأمير كثيرا بتأسيس اقتصاد دولته الفتية وفق أسس سليمة صحيحة، عبر إعادة تفعيل الحياة الاقتصادية، وإعادة الثقة للتعاملات الاقتصادية والتجارية، وتفعيل المقاومة والمقاطعة الاقتصادية للمحتل، وذلك بمراقبة تنقل السلع والتجار، في وقت كانت تعاني فيه الحامية الفرنسية في منطقة وهران صعوبات كبيرة في التمويل، من جراء الحصار الاقتصادي المضروب عليها، كإستراتيجية تعتمد على المقاطعة الاقتصادية للتشديد على العدو و ذلك بمنع كل القبائل من التعامل بالبيع والشراء تحت أي ظرف كان[3].

كما سعى الأمير إلى زيادة مداخيل وموارد الخزينة للقيام بأعباء الدولة وتمويل المجهود الحربي، وبتالي سعى إلى تأسيس اقتصاد حرب حقيقي ,ولم يتأتى له ذلك إلا بفرض ضرائب على الرعية مع مراعاة الأحكام الشرعية، فالأمير لم يفته إلغاء كل المكوس والدنوش والضرائب العثمانية الغير شرعية، ويبدو إن الأمير كان جد قلق من مسألة الضرائب وهو الورع المتأله، حيث نجده يستفتي فقهاء فاس مخافة تعارض نظامه الضرائبي مع الأحكام الشرعية، وهكذا قام الأمير بإلغاء الضرائب الغير شرعية مثل "اللزمة" "الغرامة" و"العوائد"، وعوضها بضريبتي

1 – نزار أباظة، **المرجع السابق**، ص.56.

2 – إسماعيل العربي، **المرجع السابق**، ص.87.

3 – ناصر الدين سعيدوني، "**النظام الضريبي في دولة الأمير عبد القادر**"، **مجلة الثقافة**، وزارة الثقافة، ع75، 1983، ص.123.

"العشور" و"الزكاة"، وهذا ما أكسبه حب علماء الدين ومشايخ الصوفية وزعماء القبائل ,كما قام بإلغاء كل المطالب المخزنية السابقة، وكل أعمال السخرة، والمصادرة التعسفية والتغريم بغير وجه حق، وكل إجراءات العقاب الجماعي، كما ألغى كل الامتيازات السابقة التي كان يتمتع بها "الكراغلة "، بل فرض عليهم ما يتوجب دفعه بالإضافة إلى إرغامهم على المساهمة في المجهود الحربي بمشاركتهم في المعونة وهي ضريبة استثنائية خاصة بالمجهود الحربي، يمكن إلزام الحاكم الرعية بدفعها في زمن الحرب وقد استحدثت سنة 1839، و تزايدت مع تطور الحرب حتى أصبحت تشكل عبأ على القبائل، وبالتالي زاد تهربهم من دفعها وزاد مع تعاظمها تلكئهم في نصرة الأمير عبد القادر، رغم أن الأمير أوصى جامعي الضرائب و الزكاة عدم ظلم وغبن الناس وعين قاضيا ينظر في شكوى الناس، إذا كان هناك تجاوز أو تعسف من طرف العمال، كذلك لم يكن يتسامح مع ظواهر الرشوة والفساد والمحاباة، ولقد اضطر إلى معاقبة أحد عماله لتقاضيه الرشوة كما أن عمال الأمير كانوا يتساهلون مع الرعية في دفع الضريبة نقدا أو عينا، وان كانت المعونة تدفع في غالب الأحيان نقدا [1].

رغم ذلك حافظ الأمير على بعض الرسوم والضرائب التي كان العمل بها في العهد العثماني، مثل رسوم الأسواق وحقوق الجمرك، وان كنا لا نعلم موقف فقهاء الدين من هذه الضرائب، ولم نجد ما يثبت سؤال الأمير عنها كما كان الشأن بالنسبة للمعونة[2].

إلا أن موارد المالية لم تقتصر على المعونة والعشور والزكاة، بل تعززت كذلك بالغرامات والخطية، التي كان يفرضها على القبائل المتمردة إضافة إلى مصادرة الأملاك بعد الغارات الحربية الانتقامية، وان كنا لا ندري التكييف الفقهي للأمير في ما يخص أعمال المصادرة وقد كان قد سبق وأن سأل قاض فاس عن حكم مصادرة أملاك البغاة وأجاب القاضي بالرفض واستثنى في ذلك الأسلحة. وقد سبق للأمير أن فرض خطية كبيرة على قبائل السبخة الساكنة سهل شلف بعدما وقفوا ضده.

1 – برونو إيتين، **الأمير عبد القادر الجزائري**، دار الغرابي، بيروت، 1961، ص.57.

2 – ناصر الدين سعيدوني، **النظام الضريبي**، **المرجع السابق**، ص.17.

كما اعتمد الأمير على المساعدات الخارجية التي تلقاها مثل مساعدات السلطان المغربي عبد الرحمان، إضافة إلى أرباح احتكار تجارة المواد الأولية كذلك اشتراكات كبار الموظفين من الخلفاء والأغوات والقياد والشيوخ أو ما يسمى "بحق البرنوس" لقاء بقائهم في مناصبهم ,و هذا إضافة إلى مداخيل الأملاك العقارية[1].

رغم إن الأمير عزز خزينته بموارد لا بأس بها مستغلا أيام السلم بعد "معاهدة تافنة" إلا إن ذلك ظل غير كاف وهذا راجع إلى الحاجة الكبيرة لشراء الكبريت والبارود والذخيرة وكل مستلزمات الحرب، إلا أن الضربة القاضية كانت بنهب محلته في 15ماي 1843 بعد نقض معاهدة تافنة وتجدد الحرب، حيث كان ذلك بمثابة اختلال توازن خطير للنظام المالي والضريبي لدولة الأمير، وهذا ما دفع به لإتباع سياسة التقشف، بعدما رهن جميع أملاكه العائلية والشخصية وباع حلي عائلته في أسواق معسكر سنة 1839، واقتطع لنفسه راتبا متواضعا لا يكاد يكفيه هو وعائلته[2].

أما في ما يخص القطاع التجاري فقد استفاد الأمير كثيرا من المعاهدات الدبلوماسية لإنعاش القطاع التجاري، خاصة في زمن السلم بعد معاهدة تافنة، وقد وكل الأمير اليهودي "حايم بن دران" ليلعب دور الوسيط بينه وبين الطرف الفرنسي، وهو ما سمح له بطريقة غير مباشرة وذكية في الحصول على البارود و الفولاذ والرصاص وكل مستلزمات صنع الذخيرة ،مقابل رفعه الجزئي للحصار الاقتصادي الذي كان يفرضه على مدينة وهران حيث أن "بن دران" كان مكلفا بالتجارة الخارجية للأمير عبد القادر[3].

العملة في دولة الأمير

كان يلزم الأمير تقويم اقتصاد دولته الفتية عبر تأسيس نظام نقدي خاص به، ولم يتأتى ذلك له إلا بضرب السكة وإصدار العملة، لما لهذه الخطوة من أهمية بالغة تتجاوز المصالح

1 – هنري تشرشل، **المرجع السابق**، ص.107.

2 – إبراهيم مياسي، **روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية**، دار هومة، (د.س.ن)، ص.30.

3 – ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي، مرجع سابق**، ص.91.

الاقتصادية، بما أن لها أهمية من الناحية الشرعية والسيادية ،كرمز من رموز الدولة. فبعد تنظيم شؤون الحياة الاقتصادية كان يجب لزاما استحداث العملة لوضع حد للفوضى المالية والنقدية، كما سبق وأن ذكرنا ذلك[1].

والحق يقال أن الدارس لموضوع العملة في عهد الأمير يجد صعوبات جمة لقلة المادة فلولا اكتشاف بالصدفة جرة صغيرة بها نقود أميرية من طرف عمال الحفر لإقامة قنوات الصرف الصحي في بلدية بوقادير سنة 1966، لظل الأمر مجهولا إلى يومنا هذا، حيث تم اكتشاف قطع نقدية نحاسية قام على أثرها الأستاذ "عبد الرحمان الجيلالي "بنشر مقال قيم حول العملة الأميرية، انطلاقا مما تم اكتشافه ولكن أحسن دراسة حسب علمنا لهذا الموضوع كانت للأستاذ "منير بوشناقي" في أطروحته "العملة في دولة الأمير عبد القادر" بعدما درس بالتدقيق العملة الأميرية على حسب المعطيات المتوفرة بعد الاكتشاف المشار إليه في السابق[2]

.

لقد حاول الأمير منذ البداية على ما يبدو إحياء العملة العثمانية البائدة، ويتأكد ذلك بعد طلبه استرجاع آلات ضرب السكة العثمانية من الفرنسيين بعد معاهدة تافنة، لكن طلبه ظل بدون جواب لمعرفة المحتل خطورة الأمر وهذا الأمر يعطينا نظرة جيدة لعقلية الأمير البعيدة جدا عن التباهي وجنون العظمة بالمحافظة على العملة العثمانية وعدم إصدار عملة جديدة تحمل اسم دولته الفتية، رغم علمنا بأهمية هذا الإجراء من الناحية الشرعية والسيادية وخاصة في تلك الظروف الصعبة[3].

لقد جاءت عملة الأمير بحلة جميلة، بها نقوش لآيات قرآنية منتقاة في غالبها جيدا ,بما أنها كانت توافق الظروف السياسية لتلك الفترة حيث كانت تدعو للجهاد وتحث على الصبر، وكان الغرض من هذا الإجراء توحيد النظام النقدي في الجزائر ليشمل حتى المناطق الخاضعة

1 – شارل هنري تشرشل، **المرجع السابق**، ص.170.

2 – إسماعيل العربي، **المرجع السابق**، ص.41.

3 – شارل هنري تشرشل، **المرجع السابق**، ص.93.

لنفوذ المحتل الفرنسي. لكن رغم ذلك فإن تغلغل العملة الفرنسية كان أسرع في الشرق مما هو عليه في الغرب وبالتالي ظلت العملة الأميرية محصورة في مناطق نفوذ الأمير[1] .

لقد أسس الأمير دارا لضرب السكة في "تقدامت" التي تبعد عن مدينة تيارت الحالية بحوالي 13 كيلومتر من الجهة الشمالية الغربية، وكان لهذه المدينة أهمية إستراتيجية كبرى قبل أن تداهمها قوات الاحتلال الفرنسي و تكون بذلك الضربة القاضية للنظام المالي والنقدي لدولة الأمير عبد القادر، ولقد عين "السي قدور بن محمد بن رويلة" –أمين سر خليفة مليانة الذي سيصبح مستشار له فيما بعد– متكلفا بالسكة. وقد انقسمت هذه العملة إلى محمدية ونصفية، كتب في مجملها العبارات التالية { **لا اله إلا الله** }، وفي الوجه الأخر عبارة "ضرب من طرف السلطان الحاج عبد القادر" وفي قطعة أخرى **{حسبي الله هو نعم الوكيل}** وفي الوجه المقابل ‹عبد القادر أمير تقدامت › أو ‹عبد القادر بن محي الدين ضرب في تقدامت سنة 1256› اما في القطع الفضية التي كانت نادرة فقد كتب على ظهرها الآية الكريمة {**ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفانا مسلمين**} وفي أخرى {**إن الدين عند الله الإسلام** } وقد تكرر الشكل الأخير مع اختلاف القطر والأوزان والمعدن[2].

إن هذا الوصف للعملة الأميرية قد ذكره القنصل الفرنسي المقيم بمعسكر "Daumas " رغم أن بعض الآثار لا تدل على وضع الأمير اسمه على السكة على الإطلاق لأنه حافظ على نفس شكل العملة الذي كان معتمدا لدى الأتراك والتي كانت تضرب باسم السلطان محمود العثماني وهي نفس العملة التي حافظ عليها الحاج أحمد باي باسم السلطان محمود وفي الجهة الأخرى ضرب في [قسنطينة] سنة1254هـ [3].

ولتقدير العملة الأميرية وجب عرض قيمتها على السوق المالية في تلك الفترة لمعرفة حجمها الحقيقي في تلك الظروف الاستثنائية فقد كانت على الشكل الأتي :

---

1 – إبراهيم مياسي، **المرجع السابق**، ص.13.

2 – ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي، المرجع السابق**، ص.100.

3 – **نفس المرجع السابق**، ص.20.

"دورو بومدفع" يساوي "أربعة ريال"، والريال يساوي "ثلاثة أرباع"، والربع يساوي ثمانية "محمدية" وهي عملة الأمير والمحمدية تساوي اثنين "نصفية"، و كان الريال العملة المفضلة له بما أنها كانت أكثر العملات تداولا وشهرة وثقة، حيث كان يساوي 1.35 فرنك في الوقت الذي كان يساوي فيه الربع 0.45 فرنك، والمحمدية 0.05 فرنك والنصفية 0.025 فرنك [1].

ونلمح جليا القيمة المنخفضة للعملة الأميرية في سوق المال مقارنة مع الفرنك الفرنسي، وهذا الأمر عادي إذا أخذنا بعين الاعتبار حداثة العملة الأميرية وفوضى السوق النقدية الداخلية، والاقتصاد الهش والضعيف لدولة الأمير، وقلة المعادن الثمينة التي تعتبر أساس قاعدة العملة وهو النظام المعمول به إلى يومنا هذا، خاصة إذا علمنا أن الاقتصاد الفرنسي كان من الاقتصاديات الضخمة في العالم في تلك الفترة بعد أفول نجم الإمبراطورية الاستعمارية الاسبانية[2].

ويجب الاعتراف إن عملة الأمير ظلت مرفوضة من طرف المتعاملين معه مثل ملك المغرب الأقصى و فرنسا وفضلوا التعامل بالعملات الأجنبية لشيوعها وقوتها إلا أن مبادرة الأمير عبد القادر في بناء دولة جزائرية بمؤسسات سيادية وباقتصاد قوي وعملة جيدة كلها، كانت مبادرة مهمة جدا في المجال السياسي والدبلوماسي، وتدل على سعة أفقه وبعد مداركه وعظيم طموحه الذي جاء في زمان غير زمانه، جعله وان لم توفقه الظروف الداخلية والخارجية بحق من أبرز الشخصيات والزعماء الذين طبعوا تاريخ البشرية عل الأقل في القرن التاسع عشر كما شهد بذلك الكثير من المفكرين والمؤرخين[3] .

المطلب الثاني: الأسواق و المواصلات

1 – إسماعيل العربي، **المرجع السابق**، ص.203.

2 – شارل هنري تشرشل، **المرجع السابق**، ص.233.

3 – غوستاف ديغا، **ذكرى العاقل و تنبيه الغافل**، تحقيق عمار طالبي، دار هومة، الجزائر، 2004، ص.09.

أولاً- الأسواق: عرفت الجزائر ظهور بعض الأسواق التي يتم فيها بيع مختلف السلع والبضائع كالعطور والمنسوجات والمجوهرات. من أشهرها سوق بوفاريك[1].

إضافة إلى وجود عدة أنواع أخرى، كانت مقسمة إلى فنادق، حيث خصص كل واحد منها لنوع من البضاعات كقاعة الزيت، وقاعة الجلد[2].

وكانت هذه الأسواق مكسب رزق للسكان في الجزائر. خاصة الصناعة اليدوية التي اختص بها بعض السكان مثل صناعة الحلي، والأسرجة، كما كان يوجد بالأحياء الجزائرية أسواق كثيرة منها سوق باب عزون، وسوق باب الوادي. وقد لوحظ بهذه الأسواق الذهب المكسيكي، والماس الهندي، وحرير الشرق وأقمشتهم، إذ كانت السفن ذات الأعلام المختلفة تدخل وتخرج من الجزائر مليئة بالثروات الاحتياطية[3].

1. **قسنطينة:** توجد ما يعرف بالرحبة و هي ذلك المكان الذي يستعمل في أغراض تجارية حيث تباع فيها مختلف السلع والبضائع كالملابس والأقمشة وغيرها .

عرفت مدينة قسنطينة عدة رحبات منها "رحبة الزرع" التي كانت تتوسط المدينة وتقام فيها عدة نشاطات تجارية تبيع الحبوب والتمور والزيتون ومنها أيضاً "رحبة الشبرليين"، سوق الخرازين، سوق العطارين، سوق الصاغة، وسوق الصباغين كما توجد رحبة الصوف في مدينة قسنطينة والتي تحولت إلى سوق لبيع الخضر والفواكه وسوق الجملة الذي سمي حاليا بسوق العصر وسوق بومزو يعود وجوده إلى التواجد الفرنسي يقع في ساحة أول نوفمبر، سوق بن بطوا يقع في شارع بلوزداد بقسنطينة [4].

---

1 – عبد الحميد بن أشنهو، **دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1978، ص.55.

2 – سمون بفايفر، **المرجع السابق**، ص.112.

3 – محمد بن أحمد، "**الأسواق القديمة**"، **جريدة الشروق اليومية**، ع4120، الجزائر، 02-04-2002.

4– سفيان بوعياد، "**معالم الأثرية بقسنطينة**"، **جريدة الشروق اليومية**، ع 4166، الجزائر، 2011/10/14 .

2. **أما في الجزائر العاصمة** في القصبة كانت تعرف بأزقتها القديمة التي كان اقتصادها يقوم على الحرف القديمة والتي اندثرت معظمها كشارع بوتان اليهود و المعروف بدكاكين صغيرة . وزنقة الشيطان وهي سوق النحاسين والصباغين [1].
3. **أما في مدينة وهران** ومن أقدم أسواقها نجد سوق الأوراس، لابستي وسوق المدينة الجديدة وسوق سيد الهواري [2].

ثانياً- أهم المواصلات: كانت طرقها بدائية أقرب إلى الدروب، غير مأمونة أهمها طريق الجزائر و قسنطينة و وهران، و اعتمد النقل فيها على البهائم، مما سبب عزلة مناطق القطر عن بعضها، و تراجع الاتصالات و المبادلات[3].

و كان من أهم الموانئ البحرية و النهرية منها: القالة، عنابة، و سنورة الموجودة على قرب من سكيكدة و القل و جيجل التي تصدر منتوجات محلية و بجاية و الجزائر و هي من أهم الموانئ لأنها تتكون من عدة جزر و مناء شرشال و مناء وهران و المرسى الكبير الذي يقع على بعد ستة كيلومترات غربي خليج وهران [4].

1- منير بن عزيز، "**الأسواق العاصمية**"، **مجلة الثقافة** ، ع 7 ، الجزائر، 1991/03/02 .

2- محمد بن احمد، "**الأسواق**"، **جريدة الشروق اليومية**، ع3160، الجزائر ، 2009/08/20.

3 - بشير بلاح، **المرجع السابق**، ص.25.

4 - Renaudot Mongie, **Tableau Du Rouaume De La Ville D'Alger**, Paris, 1830, P.153.

خاتمة

بعد العرض و التحليل لموضوع البحث الأوضاع الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية للجزائر عشية الاحتلال الفرنسي استخلصت مجموعة من الاستنتاجات تم تلخيصها في النقاط التالية:

- أن المجتمع الجزائري لم يكن مجتمعاً طبقياً كما تذكر الكثير من الكتابات الأوروبية و بل إن التفاوت الذي كان موجوداً بين فئة و أخرى و لم يكن بين الطبقة و الأخرى كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات الأوربية في العصور الوسطى.
- إن المجتمع الجزائري تأثر ببعض العادات و التقاليد التركية خاصة في اللباس و بعض الأطعمة.
- أّما بالنسبة للوضع الثقافي فإن المؤسسات الدينية حاولت فرض وجودها على المجتمع من خلال ما تقدمه من مساعدات و تنظيمات للسكان، كما تميزت هذه المؤسسات بتنوعها من حيث عددها و كثرة مهامها كما جعلت من المجتمع الجزائري مجتمعاً واعياً و هذا ما أكدت عليه فرنسا عند دخولها إلى الجزائر.
- أّما الوضع الاقتصادي فكان يشهد نوع من التدهور أدى ذلك إلى ظهور مجاعات و انتشار مختلف الأمراض و الأوبئة حيث أثر سلباً على الحالة الصحية للسكان.
- إن امتزاج الذوق المحلي بالذوق العثماني في ميدان العمران ساهم في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.
- و من خلال الدراسة نلاحظ أن دور المرأة في المجتمع الجزائري في ذلك الوقت كان محدوداً جداً حيث اقتصر على الأعمال المنزلية بالنسبة للمرأة الحضرية أّما المرأة الريفية بالإضافة إلى قيامها بالأعمال المنزلية كانت تقوم بأعمال أخرى كجمع الحطب و الفلاحة و غيرها.
- عجز الجزائريون عن مواكبة التطورات العلمية لأنه كان كل تركيزهم على النظام العسكري بينما كانت الدول الأوربية تكتشف كل يوم جديداً في حقول المعرفة هذا ما أدى إلى اختلال التوازن بين القوانين الإسلامية و الأوربية .
- إن العامل الأساسي الذي ساعد على احتلال الجزائر و هي القطيعة سوسيولوجية التي كانت بين السلطة و المجتمع الجزائري أدى إلى خلق الهوة بين الشعب و السلطة و بالتالي ضعفت الدولة الجزائرية.

- برغم أن التعليم انتشر بكثرة إلا أنه ظل يعاني من الطابع التقليدي الذي لا يواكب التطورات الأوربية.

- و من هنا يمكننا القول أن هناك تكاملاً بين المجتمع و الثقافة فالمجتمع لا يتطور و لا يستمر إلا باستمرار ثقافته و اقتصاده.

ملحق رقم :(1)

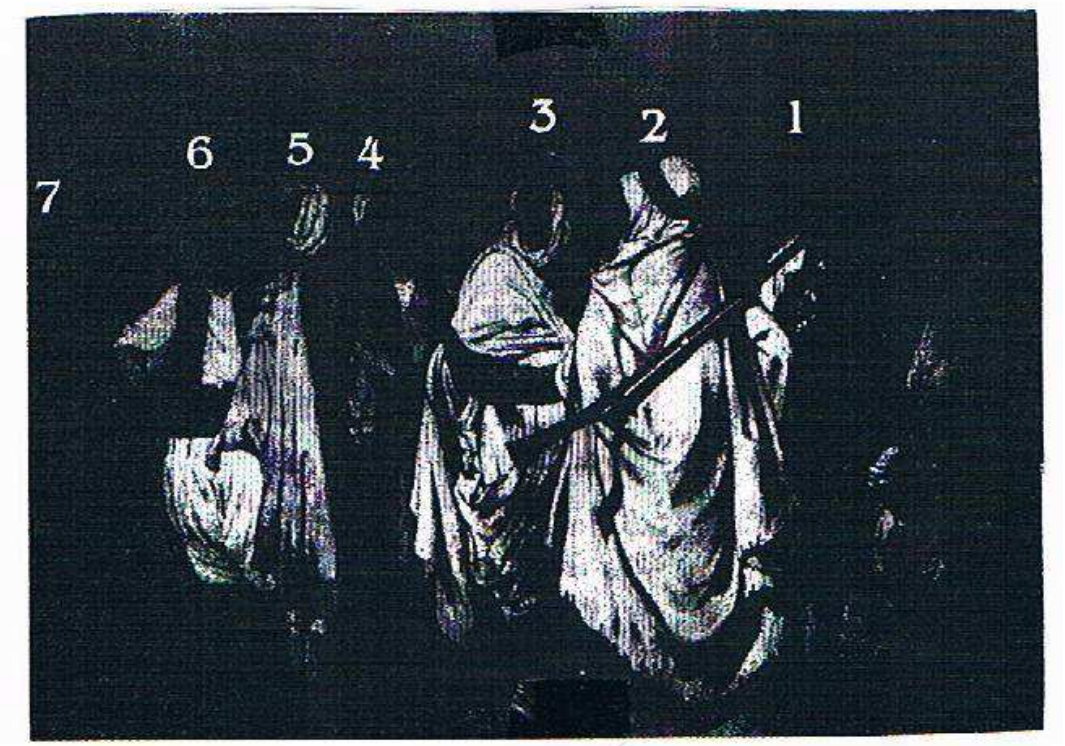

تمثل أجناس الجزائر من اليمين : 1- زنجي، 2- أمازيغي "قبائلي"، 3-عربي، 4-و5-حضري، 6- تركي، 7- يهودي

المرجع: بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989**، ص49.

ملحق رقم :(2)

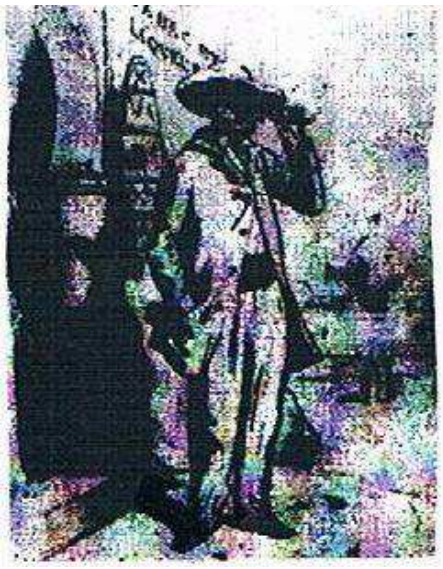

تمثل لباس رجل يهودي

تمثل لباس رجل تركي

المرجع: بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989**، ص39.

ملحق رقم :(3)

تمثل لباس نرأة جزائرية في الدار

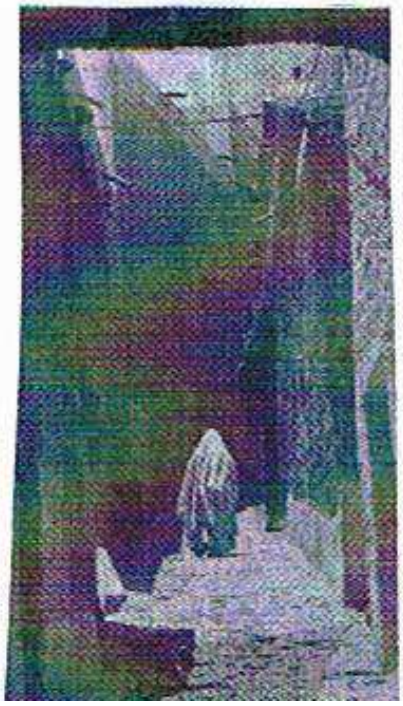

تمثل لباس مرأة جزائرية خارج الدار

المرجع: ليلى علي، ابراهيم، **الفن المعماري الجزائري**، ص12.

ملحق رقم :(4)

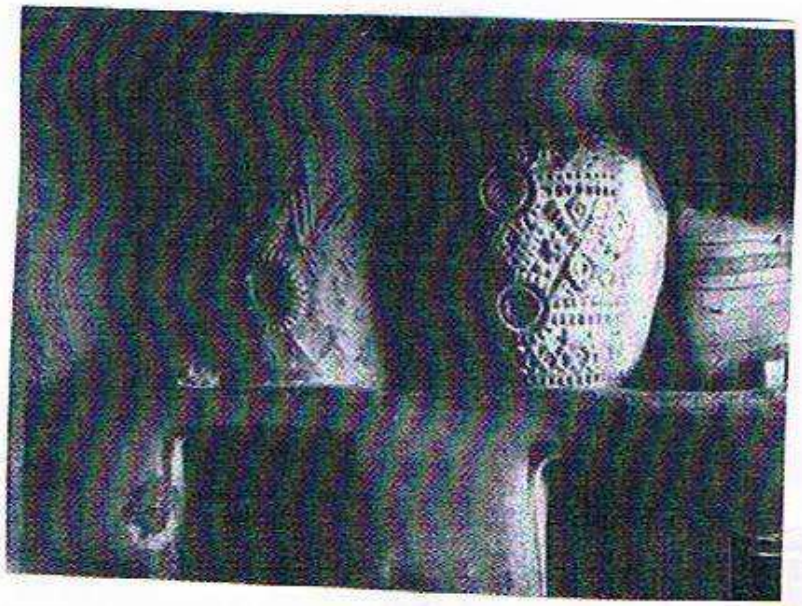

تمثل أثاث البيت الجزائري

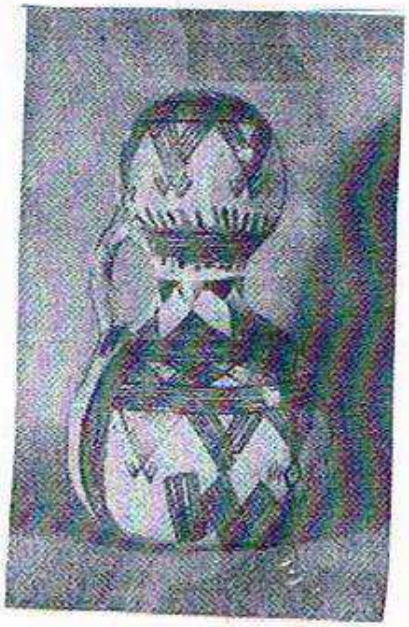

المرجع: سيدي أحمد بياني، **الجزائر سلسلة الفن و الثقافة**، ص17.

ملحق رقم :(5)

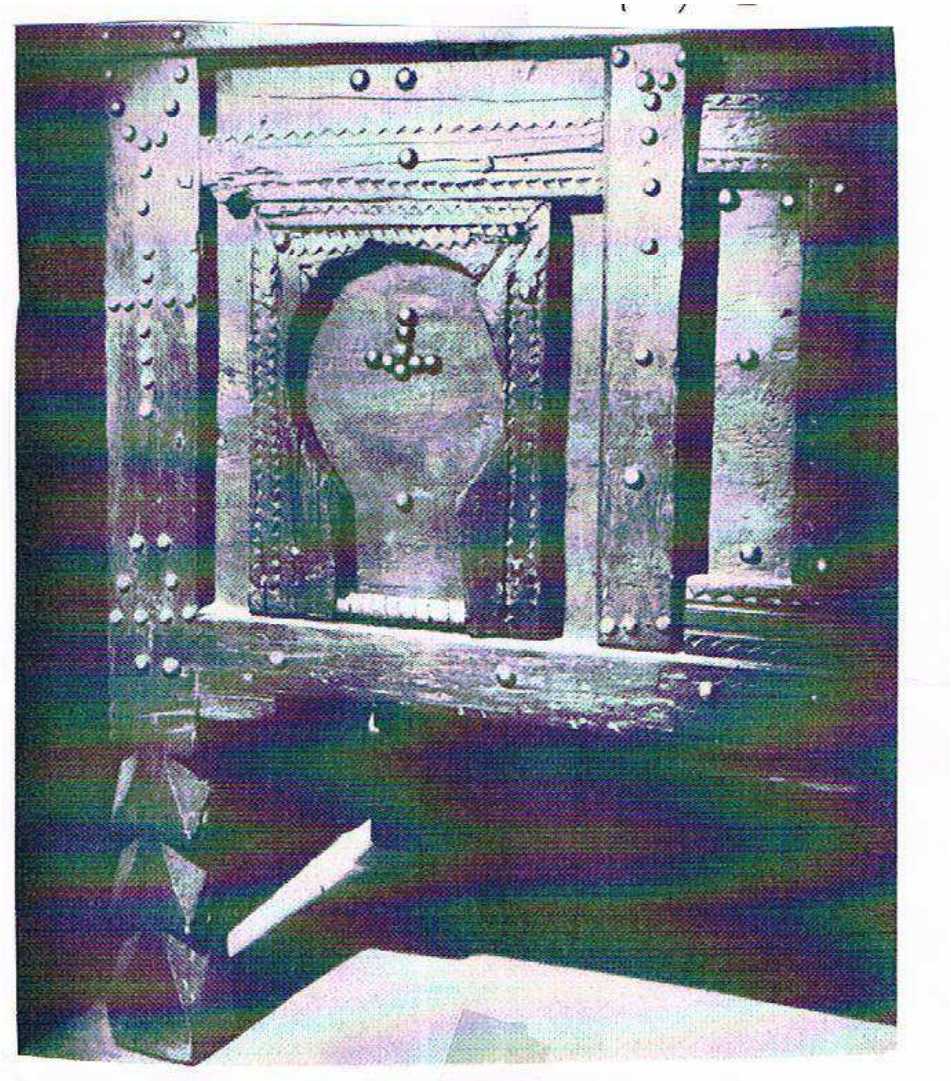

تمثل صندوق من خشب يوجد في أي دار جزائرية

المرجع: سيدي أحمد بياني، **الجزائر سلسلة الفن و الثقافة**، ص92.

ملحق رقم :(6)

تمثل مجاعات قسنطينة

المرجع: بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989**، ص120.

ملحق رقم :(7)

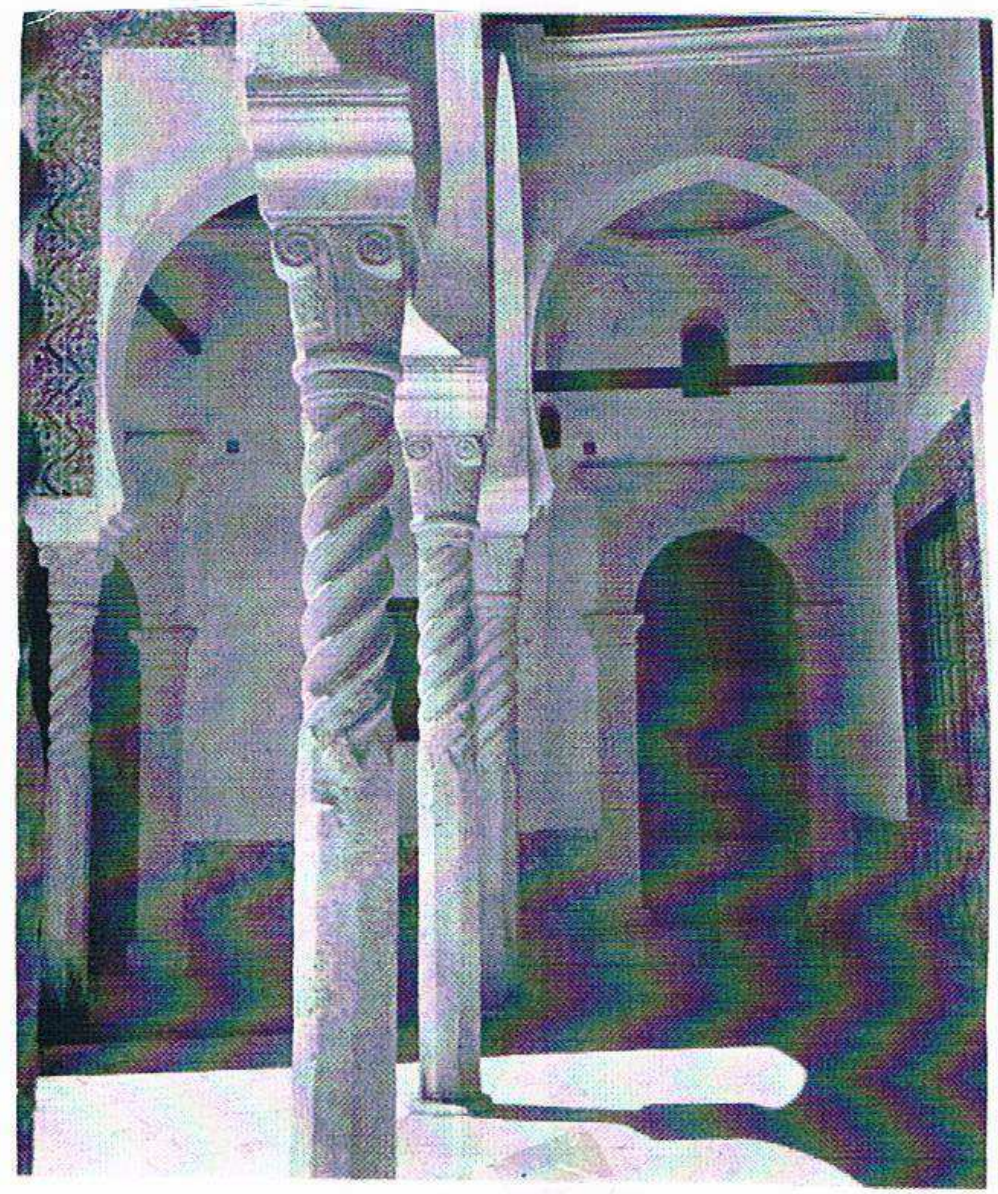

تمثل تقنيات بناء داخل دار في المدينة

المرجع: ليلى علي ابراهيم، **الفن المعماري الجزائري**، ص54.

ملحق رقم :(8)

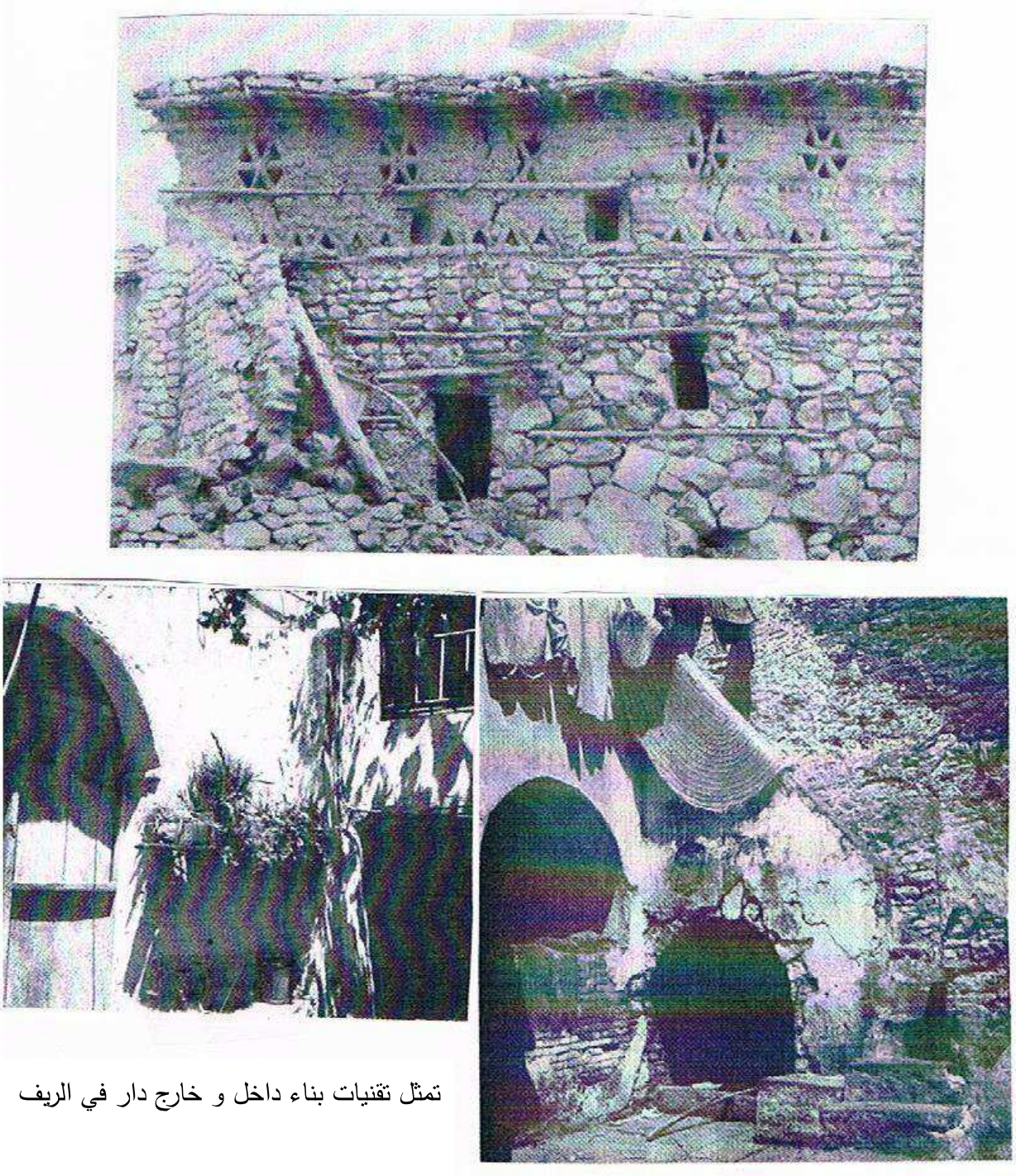

تمثل تقنيات بناء داخل و خارج دار في الريف

المرجع: ليلى علي ابراهيم، **الفن المعماري الجزائري**، ص30.

ملحق رقم :(9)

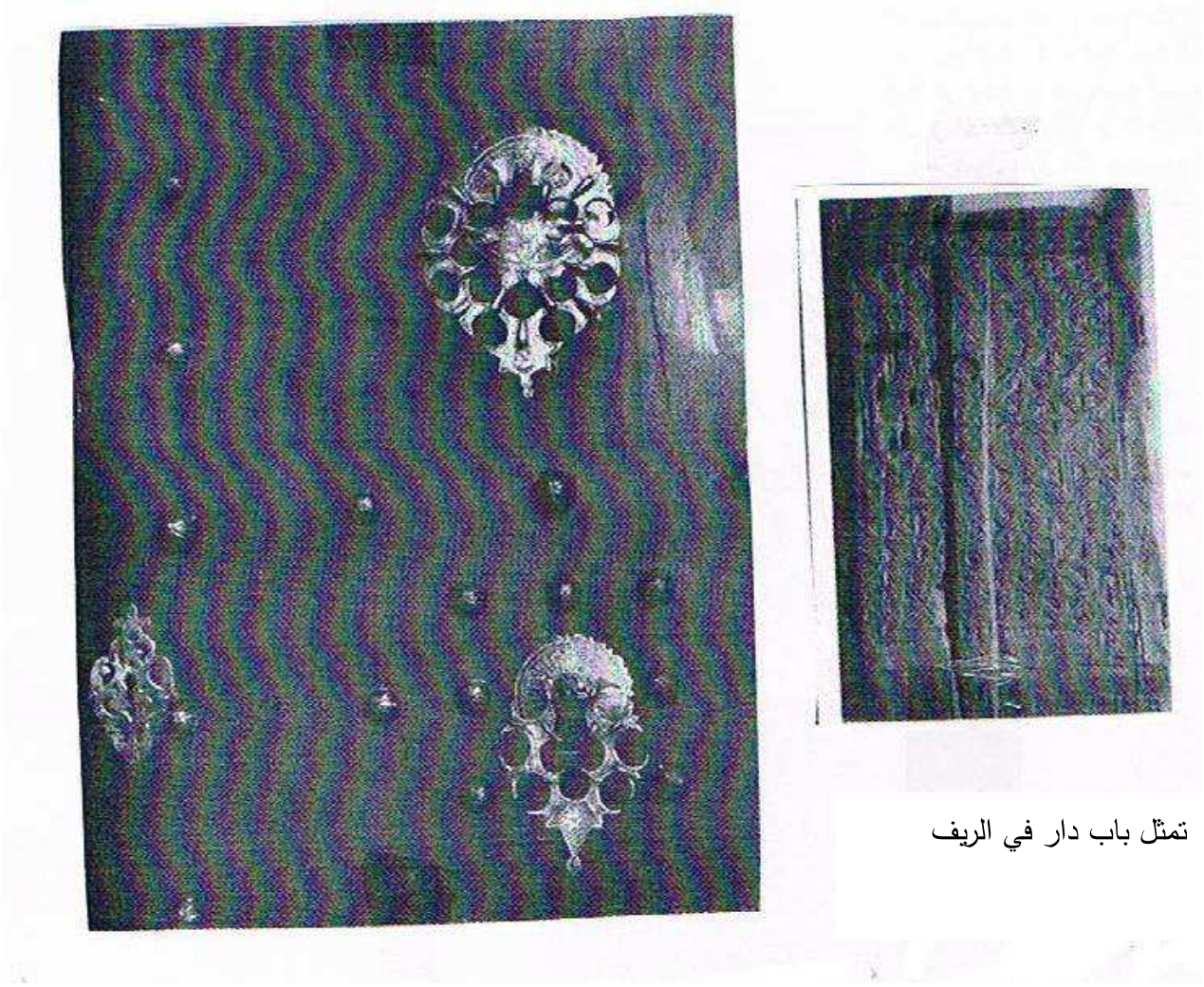

تمثل باب دار في الريف

تمثل باب للقصر

المرجع: سيدي أحمد بياني، **الجزائر سلسلة الفن و الثقافة**، ص11.

ملحق رقم :(10)

تمثل شارع من شوارع

الجزائر بالقصبة

المرجع: ليلى علي ابراهيم، **الفن المعماري الجزائري**، ص30.

ملحق رقم :(11)

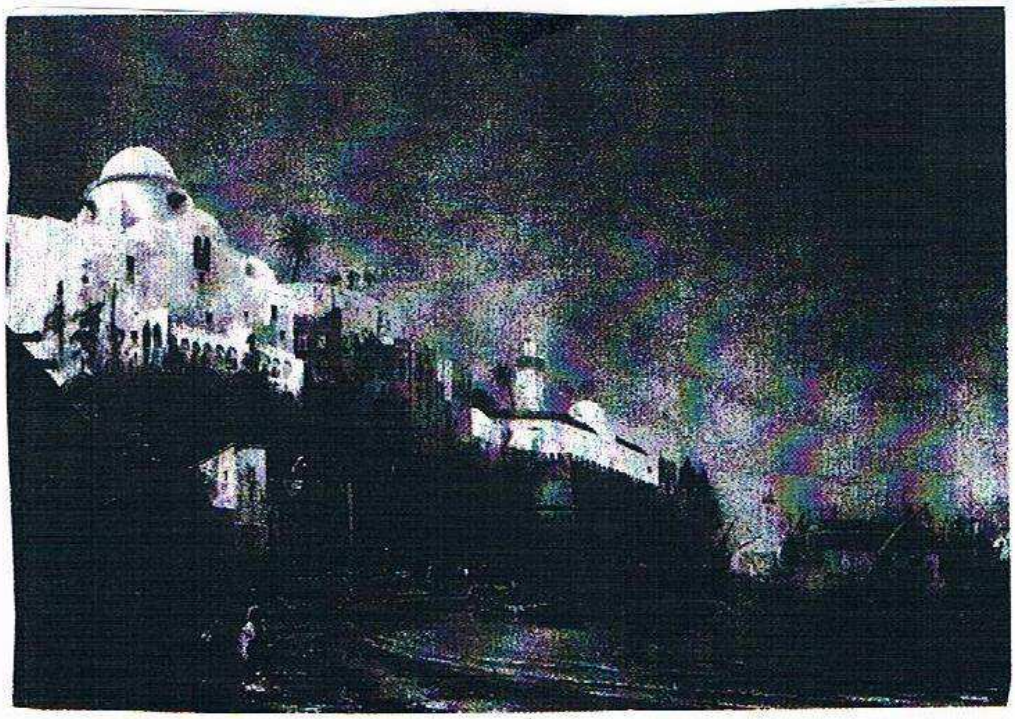

تمثل الجامع الجديد و

الجامع الكبير

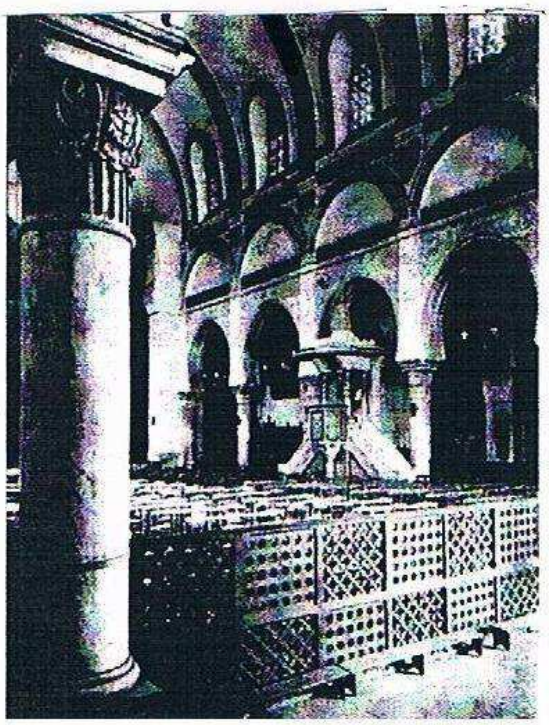

تمثل مسجد كتشاوة

المرجع: سيدي أحمد بياني، **<u>الجزائر سلسلة الفن و الثقافة</u>**، ص40.

ملحق رقم :(12)

تمثل صورة قصر أحمد باي و أهم الرسوم و النقوش الموجودة على جدران القصر

المرجع: ليلى علي إبراهيم، **الفن المعماري الجزائري**، ص29.

ملحق رقم :(13)

تمثل كُتاب لتعليم القراءة و الكتابة

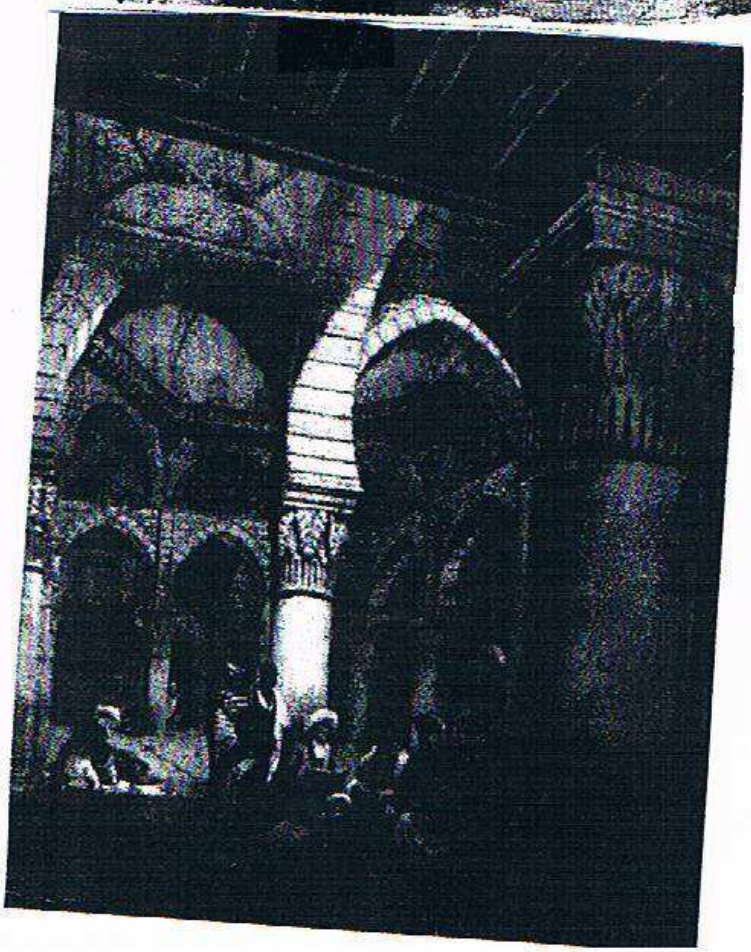

تمثل مسجد تم فيه تجمع المشايخ لتبادل الأفكار و المعارف

المرجع: بشير بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989**، ص50-53.

ملحق رقم :(15)

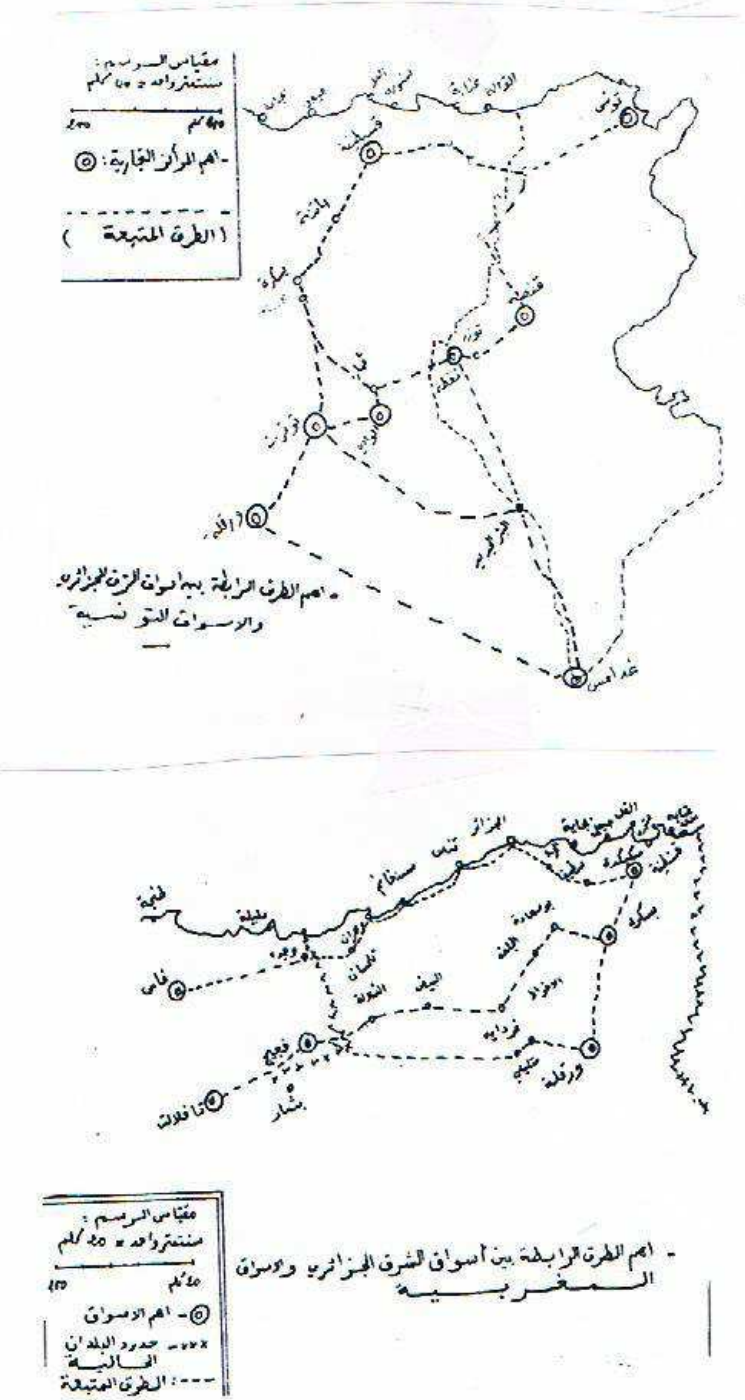

المرجع: محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، ص207-208.

ملحق رقم :(14)

تمثل عمليات التصدير التي كانت تتم بين الشرق الجزائري و الأسواق التونسية

أهم الأسواق	المقاصد	المواد المصدرة	المواد المستوردة
قسنطينة	تونس	الصوف ، الجلود المدبوغة ، التمور الممتازة ، الشواشي العادية ، ريش النعام	المصنوعات الأوربية ، العطور ، التوابل ، القهوة ، الأقمشة ، القطنية والحريرية .
الوادي	نفطة نفطة	التبغ ، الفوة والتمور	مواد البزازة ، المواد العطرية ، الأقمشة الحريرية ، الأسلحة ، الكبريت .
توقرت	نفطة غدامس	الأقمشة الصوفية العادية ، التمور والمظلات المواد العطرية ، التمور الحبوب ، الزيوت ، الأقمشة .	الأقمشة القطنية ، العطريات والمصنوعات الأوربية . التبر ، العبيد ، جثث النعام ، البخور السوداني .

تمثل وحدات الكيل و الوزن

اسم الوحدة	مقابلها بالكيلو غرام	مقابلها بالغرام
الصاع (للحبوب)	١٣٠	
القلبة (للحبوب)	١٦،٢٥	
الربعي (للحبوب)	٤،٠٦	
الرطل الكبير		٩٢١،٥
الرطل الخضاري		٦١٤،٣
الرطل العطاري		٥٤٦،٠٨
الرطل الفضي		٤٩٧،٤٣
المثقال		٤،٦٧
الربع (للزبدة)	٣،٦٣	
الذراع ــ نصف متر		

المرجع: محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، ص72-75.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

1- اشبودان العربي، **مدينة الجزائر تاريخ العاصمة**، ترجمة الحاج مسعودي، دار القصبة الجزائر، 2007 .

2- بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، 1942.

3- بغايفرسمون، **مذكرات عشية الاحتلال الفرنسي**، ترجمة أبو العيد، دودو، دار هومة، الجزائر، 2009 .

4- تشرشل شارل هنري، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 2004 .

5- تيرا أفون، **مواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830-1880**، ترجمة عبد الكريم، دار القصبة، الجزائر ، 2007 .

6- جوليان شارل أندري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، دار التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1964.

7- خوجة حمدان، المرأة، ترجمة وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر.

8- دردير أحمد، **الشرح الصغير على المختصر المسمى أقرب إلى مسالك إلى مذهب الإمام مالك**، مؤسسة المنشورات الإسلامية، الجزائر، 1992 .

9- ديغاغوستاف، **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**، تحقيق عمار صلالبي، دار الهومة، الجزائر، 2004 .

10- روبير شارل اجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، المؤسسة الوطنية، الجزائر 1968.

11- الزهار أحمد شريف، **دخائر المغرب العربي**، تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980 .

12- سامع عزيز ألتر، **أتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، ترجمة علي عامر، دار النهضة، بيروت، 1989 .

13- سبنسر وليام، الجزائر **في عهد رياس البحر**، ترجمة عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائرن 1980.

14- العنتري صالح، **مجاعات قسنطينة**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974.

15- بن ميمون الجزائري محمد، **تحفة المرضية في الدولة البكتاشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

16- عبد القادر بن محمد، **تحفة زائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، تحقيق ممدوح حقي، دار اليقظة، بيروت، 1964 .

قائمة المراجع بالعربية

1- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.

2- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**، دار البصائر، الجزائر .

3- أباضة نزار، **الأمير عبد القادر المعلم والمجاهد**، دار الفكر، لبنان، 1994.

4- بزاهمي نصر الدين، **تاريخ مدينة الجزائر في العهد التركي**، دار المعارف، القاهرة، 1985.

5- بلاح بشير، **تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1962)**، دار المعرفة، الجزائر.

6- بلقاسم مولود القاسم نايت، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل1830**،دار البحث، الجزائر، 1995.

7- بروتواتين، **الأمير عبد القادر الجزائري**، دار الفرابي، بيروت، 1961.

8- بهلول حسين، **الحياة الثقافية في الجزائر والعواصم العالمية**، مؤسسة الفنون، الجزائر، 1985.

9- بهلول محمد بلقاسم حسن، **القطاع التقليدي في الزراعة الجزائرية**، مكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985.

10- بوعزيز يحي، **مع تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999.

11- بوعزيز يحي ، **مع تاريخ الجزائر**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1999.

12- بوضرساية بوغزة، **الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري**، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999.

13- بوحوش عمار، **تاريخ السياسي للجزائر من بداية غلى غاية 1962**، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1997 .

14- تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

15- التميمي عبد الجليل، **بحوث ووثائق في تاريخ المغرب(1816-1871)**، دار التونسية، تونس 1972.

16- جلال يحي، **تاريخ الإفريقية الحديث والمعاصر**، مكتب الجامعي، الإسكندرية، 1999.

17- خلفي وسيلة، **نظرية الاستقرار في الفقه الإسلامي**، دار الوعي، الجزائر.

18- دودو أبو عيد، **الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

19- الزبيري محمد العربي، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة ويوضرسة**، الشركة الوطنية الجزائر، 1981.

20- الزبيري محمد العربي، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، دار هومة، الجزائر ، 1997.

21- زبير سيف الإسلام، **سجل تاريخ الاستعمار في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع للكتاب، الجزائر، 1988.

22- سعيدوني نصر الدين، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1988.

23- سعيدوني نصر الدين، المهدي بو عبدلي، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني (1734-1830)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .

24- سعيدوني نصر الدين، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب**، الجزائر، 1984.

25- شريط عبد الله، محمد الميلي، **الجزائر في مرآة التاريخ**، مكتبة البحث، الجزائر، 1995.

26- الصديق محمد الصالح، **أيام الخالدة في حياة الجزائر**، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2009.

27- الطمار محمد، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية، الجزائر 1983.

28- عباد صالح، **الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)**، دار الهومة، الجزائر.

29- العربي اسماعيل، **العلاقات الديبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر**، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1982.

30- العقاد صالح، المغرب في بداية العصور الحديثة، **معهد الدراسات العربية**، جامعة الدول العربية، 1962.

31- العقبي صالح مؤبد، **الطرق الصوفية و زوايا بالجزائر تاريخها** و نشأتها، دار البرق، بيروت، 2002.

32- غام محمد، **مدينة في أزمة مستغانم في مواجهة الاحتلال الفرنسي 1830-1833**، انسانيات، الجزائر، 1998.

33- الغنيمي عبد الفتاح مقلد، **موسوعة المغرب العربي**، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1994.

34- فركوس صالح، **حاج أحمد باي قسنطينة 1816-1850**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

35- فركوس صالح، **مختصر في تاريخ الجزائر (14ق.م-1962)**، دار العلوم، الجزائر.

36- فوزي سعد الله، **يهود الجزائر -هؤلاء المجهولين**، شركة الأمة، الجزائر، 1995.

37- قاسي حسني عبد المنعم، **دور الزوايا و الطرق الدينية في محاربة الاحتلال الفرنسي في الجزائر**، ديوان المطبوعات للكتاب، الجزائر، 1984.

38- عبد القادر أحمد محمد، **المكتبة الجزائرية**، دار نور، بيروت، 1994.

39- كعاك عثمان، **موجز تاريخ العام الجزائرين**، دار النشر، تونس، 1996

40- لميش صالح، **دعم سوري للثورة الجزائرية**، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، الجزائرية، 2010.

41- لونيسي رابح، **تاريخ الجزائر المعاصر (1930-1989)**، دار النشر و التوزيع، الجزائر، 1999.

42- المدني توفيق أحمد، **هذه الجزائر** ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،.

43- مريوش أحمد، **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني**، مركز الوطني وزارة المجاهدين.

44- الميلي محمد هلال، **تاريخ الجزائر القديم و الحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

45- مياسي ابراهيم، **روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية**، دار هومة، الجزائر.

46- النقيب أحمد بن محمد نصر الدين، **المذهب الحنفي**، مكتبة الرشيد، السعودية، 2001.

47- نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

48- بن يوسف عباس الكبير، **تاريخ الجزائر من العهد القديم إلى 1954**، دار الثقافة، بيروت، 1983.

49- الهواري عدي، **الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830-1960**، ترجمة: جوزيف عبد الله، دار الحداثة، بيروت، 1983.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

- Bouchnak Mounir, **La Monnaie De L'Emir Abdelkader**, Alger, Smed, 1976.
- Nacereddinesaidouni **,l'algérois Rural(A la fin du l'époque ottomane 1791-1830)** , Dar Al-gharbIslami , lebanon , 2001.
- Shural Tal, **ville d'alger vers la fin de**, Paris, 1998.
- Shural Tal, **ville d'alger vers la fin de**, Paris, 1998.

- Devoulx , Albert, les édifices religion de l'ancien alger,alger,1870
- Pierr ,**Main Basse Sur Alger**, Paris, Plon, 2004.
- Renaudot Mongie, **Tableau Du Rouaume De La Ville D'Alger**, Paris, 1830.
- Lucette valensi , **le Maghreb avant la prise d'Alger (1790-1830)** , flammarion , France , 1962 .

المجلات:

1- التلمساني بن يوسف، "**الحياة الاجتماعية في الجزائر**"، **مجلة حولية**، ع12، تلمسان، 2002.

2- جواني رشيد، "**الفن في الجزائر**"، **مجلة المرآة**، ع18، الجزائر، 2011.

3- حداد عبد المنعم، "**الفن المعماري**"، **مجلة الأصالة**، ع24، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1976.

4- دحمان نزار، "**تراث مخطوطات**"، **مجلة الآفاق وزارة الثقافة**، ع9، بيروت، 2001.

5- دكاك سليم، "**الجزائر و الثقافة**"، **مجلة الثقافة**، ع24، الجزائر، 1975.

6- سعيدوني نصر الدين، "**المرأة التركية الوارثة للتقليد الوطنية و الإسلامية**"، **مجلة الأصالة**، ع4746، الجزائر.

7- سيدهم فاطمة الزهراء، "**الأيالة الجزائرية**"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع17، الجزائر، 2011.

8- عطية نادية، "**العملات في الجزائر**"، **مجلة الثقافة**، ع8، وزارة الثقافة، 1999.

9- عيد عاطف، "**قصة الثقافة العربية**"، دار الحكمة العربيةع 6 ، الجزائر ، 1999 .

10- بن عزيز منير ، "**الأسواق العاصمة**"، **مجلة الثقافة**، ع 7 الجزائر 1991.

11- الفاسي الجامعي ، "**مدينة الجزائر خلال النصوص العربية والأجنبية**"، ع8 ، الجزائر 1972م.

12- قواوة نضال ،" **الثقافة**" ، **مجلة الثقافة**، ع32 ، الجزائر 1978 .

13- نادر دنيا ، "**تراث الثقافي في الجزائر**" ، **مجلة الثقافة** ع94 ، الجزائر 1986.

14- مسعودي العيد "**حركة التعليمية في الجزائر**" ، **مجلة سيرتا** ، ع3 ، 1980م .

15- هاني عبد النور، "**العملة في الجزائر**"، **مجلة العربي**، ع475، بيروت، 2003، 2000.

الدوريات :

1- بن أحمد محمد ، **الأسواق القديمة** ، **جريدة الشؤوق اليومية** ع412 ، الجزائر 2002م

2- بن أحمد نور الدين ، **الأسواق**، **جريدة الشروق اليومية** ع3160، الجزائر 2009م.

3- الزاويا سفيان ، **معالم قرآنية** ، **جريدة الجديد**ة ع9، الجزائر 2013.

4- بوعياد ، جمال ، **معالم الأثارية بقسنطية** ، **جريدة الشروق اليومية** ع 4166، الجزائر 2011.

فهرس المحتويات

المحتويـات	الصفحة
شكر و عرفان	
الإهداء	
قائمة الرموز و المختصرات	
مقدمة	
الفصل الأول الحياة الاجتماعية	
المبحث الأول: عناصر تكوين المجتمع	2
المطلب الأول : سكان المدن	2
ولاً – الأقلية التركية	2
ثانياً– جماعة الكراغلة	2
ثالثاً– جماعة الحضر	3
رابعاً– المجموعات البرانية	4
خامساً– الجالية اليهودية	4
سادساً – الدخلاء	5
المطلب الثاني : سكان الأرياف	5
ولاً – الأجواد	5
ثانياً– المرابطون	6
ثالثاً– قبائل المخزن	6
رابعاً– قبائل الرعية	7
المبحث الثاني: العادات والتقاليد.	9
المطلب الأول: اللغة ،اللباس، المسكن، الغذاء.	9
ولاً – اللغة	9
ثانياً– اللباس	9
ثالثاً– التأثيث	12
رابعاً– الغذاء	12
المطلب الثاني: الزواج والأعياد.	13
ولاً – الزواج	13

ثانياً– الأعياد	14
المبحث الثالث : الحالة الصحية	16
المطلب الأول : الأوبئة و المجاعة	16
ولاً – الأوبئة	16
ثانياً– المجاعة	17
المطلب الثاني: الكوارث الطبيعية	18
ولاً – الزلازل	18
ثانياً– الحرائق	18
المبحث الرابع: العمران	19
المطلب الأول: المساكن والمساجد	19
ولاً – المساكن	19
ثانياً– المساجد	22
المطلب الثاني : المقاهي الحمامات والقصور	23
ولاً – المقاهي	23
ثانياً– الحمامات	23
ثالثاً– القصور	24
الفصل الثاني الحياة الثقافية	
المبحث الأول : المؤسسات الثقافية	29
المطلب الأول: المساجد و الزوايا.	29
ولاً – المساجد	29
ثانياً– الزوايا و الرباطات	30
المطلب الثاني: المدارس و الكتاتيب و المكتبات	32
ولاً – المدارس	32
ثانياً– الكتاتيب	34
ثالثاً– المكتبات	35
المبحث الثاني: الجوانب الثقافية	38
المطلب الأول: العناية بالوقف الثقافي	38
المطلب الثاني: تشجيع النسخ والتأليف	39
المبحث الثالث: الجوانب الدينية	42
المطلب الأول: علوم شرعية	42

المطلب الثاني: الآثار الفقهية على ثقافة المجتمع الجزائري	43
المبحث الرابع: الحياة الفكرية و الأدبية	44
المطلب الأول: الفنون و الآداب	44
ولاً – الفنون	44
ثانياً– الآداب	47
المطلب الثاني : الفكر و العلوم	48
ولاً – الفكر	48
ثانياً– العلوم	49
الفصل الثالث الأوضاع الاقتصادية	
المبحث الأول : القطاع الفلاحي	53
المطلب الأول : القطاع التقليدي في الزراعة الجزائرية	53
المطلب الثاني : الشركات الأهلية للاحتياط	54
المبحث الثاني : القطاع الصناعي	56
المطلب الأول : الاقتصاد الخاص	57
المطلب الثاني: الاقتصاد الرسمي	57
المبحث الثالث : القطاع التجاري	59
المطلب الأول : التجارة الداخلية	59
المطلب الثاني : التجارة الخارجية	59
المبحث الرابع: الحياة الاقتصادية في عهد الأمير عبد القادر	63
المطلب الأول: دور الأمير عبد القادر في الأوضاع الاقتصادية	63
المطلب الثاني: الأسواق و المواصلات	74
ولاً – الأسواق	74
ثانياً– أهم المواصلات	75
خاتمـة	
ملاحق	
قائمة المصادر و المراجع	
فهـرس	